حال العبد بين خوف المذنبين ورجاء المحسنين

التوحيد

مجلة ■ إسلامية ■ ثقافية ■ شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
العدد ٥٧٠ السنة الثامنة والأربعون - جمادى الآخرة ١٤٤٠ هـ
الثمن ٣ جنيهات

حقيقة الدنيا وتقلُّب أحوالها

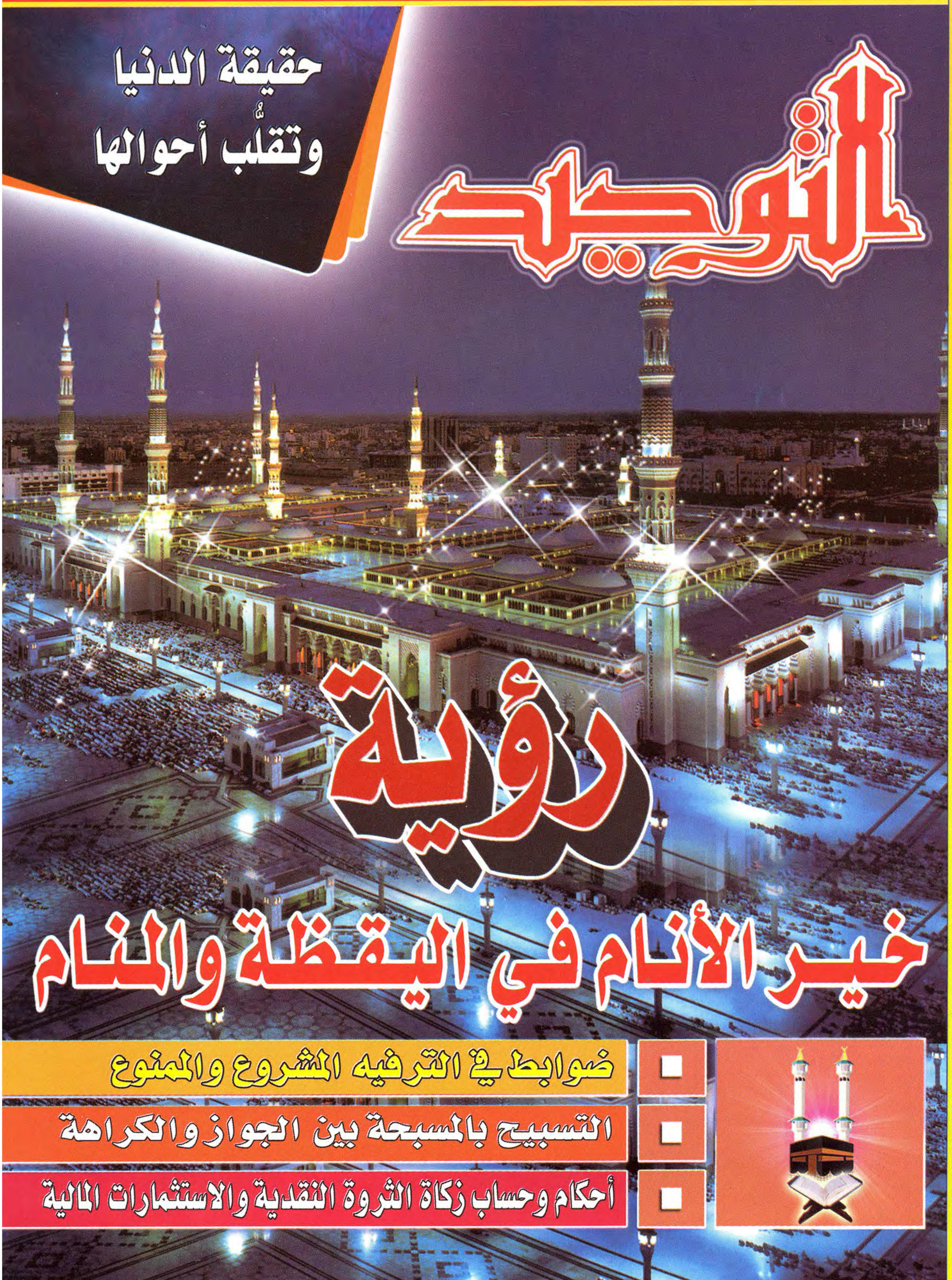

رؤية خير الأنام في اليقظة والمنام

- ضوابط في الترفيه المشروع والممنوع
- التسبيح بالمسبحة بين الجواز والكراهة
- أحكام وحساب زكاة الثروة النقدية والاستثمارات المالية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾

رئيس مجلس الإدارة
أ.د. عبد الله شاكر الجنيدي

جماعة أنصار السنة المحمدية

صاحبة الامتياز
جمعية أنصار السنة المحمدية

المشرف العام
د. عبد العظيم بدوي

اللجنة العلمية
جمال عبد الرحمن
معاوية محمد هيكل
د. مرزوق محمد مرزوق
محمد عبد العزيز السيد

إدارة التحرير ||
٨ شارع قولة عابدين. القاهرة
ت : ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس : ٢٣٩٣٠٦٦٢

المركز العام ||
WWW.ANSARALSONNA.COM
هاتف: ٢٣٩١٥٤٥٦-٢٣٩١٥٥٧٦

البريد الإلكتروني ||
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

رئيس التحرير ||
GSHATEM@HOTMAIL.COM

قسم التوزيع والاشتراكات ||
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧
ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

السلام عليكم

مَنْ أنتَ؟!

حينما تجد إنسانًا يعيب الصحابة والتابعين لهم بإحسان، الذين أثنى الله تعالى عليهم في كتابه الكريم بقوله: «وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٍ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ» (التوبة: ١٠٠)، فليس أمامك أيها العاقل إلا أن تقول له: «مَنْ أنت»؟!

أو تجد من يعيب أئمة الحديث الذين حفظوا مئات الآلاف من الأحاديث الصحيحة والضعيفة، أو يشكك في ثوابت الدين ويثير الشبهات بدعوى أنه باحث اجتماعي ومن دعاة التنوير، فليس للعقلاء إلا أن يقولوا له: «مَنْ أنت»؟!

هذه العبارة قالها عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأحد مثيري الشَّغَب والفتنة بين المسلمين في زمنه، فجهز له عمر عراجين التمر (الجريد)، واستدعاه وقال له: «مَنْ أنت»؟ يعني: ما هو قَدْرك وحجمك بين أهل العلم والفقه؟ ثم أهوى على رأسه بالجريد حتى سال الدم منه وهو يقول: حسبك يا أمير المؤمنين، فقد خرج والله ما في رأسي.

كم مِنْ هؤلاء موجود بيننا في أشد الحاجة إلى جريد عمر رضي الله عنه، حتى يخرُج ما في رأسه.

التحرير

مفاجأة كبرى

نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحوي ٤٦ مجلدا
من مجلدات مجلة التوحيد عن ٤٦ سنة كاملة

مطابع الأهرام التجارية قليوب - مصر

رئيس التحرير:
جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني:
حسين عطا القراط

في هذا العدد

تحقيق الكلام في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة والمنام: د. عبد الله شاكر ٢
الدين النصيحة: صفوت الشواد في ٥
باب التفسير: د. عبد العظيم بدوي ٩
باب الاقتصاد الإسلامي: د. حسين حسين شحاتة ١٢
من أخلاق حملة القرآن: د. أسامة صابر ١٥
باب السنة: د. مرزوق محمد مرزوق ١٧
العلم النافع: أحمد عز الدين ٢٠
درر البحار: علي حشيش ٢١
فقه المرأة المسلمة: د. عزة محمد رشاد ٢٣
منبر الحرمين: د. علي عبد الرحمن الحذيفي ٢٦
نعمة الصحة والعافية: عبده أحمد الأقرع ٢٩
باب الفقه: حكم التسبيح بالمسبحة: د. حمدي طه ٣٢
واحة التوحيد: علاء خضر ٣٦
دراسات شرعية: د. متولي البراجيلي ٣٨
الأخوة صفة نادرة ولزماننا مغادرة: د. عماد عيسى ٤١
قواعد التعامل مع العلماء: د. عبد الرحمن الجيران ٤٤
الأحداث الهامة في تاريخ الأمة: عبدالرزاق السيد عيد ٤٦
باب الأسرة المسلمة: جمال عبد الرحمن ٥٠
تحذير الداعية من القصص الواهية: علي حشيش ٥٣
قرائن اللغة والنقل والعقل: د. محمد عبد العليم الدسوقي ٥٧
حُسن الظن برب العالمين: معاوية محمد هيكل ٦١
دراسات قرآنية: مصطفى البصراتي ٦٥
خبر تُبَع وإسلامه: د. سعيد صوابي ٦٨
أصحاب الدعاء المستجاب: صلاح الدَق ٧١

سكرتير التحرير:
مصطفى خليل أبو المعاطي

الإخراج الصحفي:
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ١٠٠ جنيهاً بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين، مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون.
٢- في الخارج ٣٠ دولارا أو ١٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما.
ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة - باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة حساب رقم / ١٩١٥٩٠

ثمن النسخة

مصر ٣٠٠ قرش، السعودية ٦ ريالات، الإمارات ٦ دراهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا دولاران، أوروبا ٢ يورو

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

١٠٥٠ جنيهاً ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات
داخل مصر و ٣٠٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن.

افتتاحية العدد

تحقيق الكلام في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة والمنام

الرئيس العام

د. عبد الله شاكر

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه، وبعدُ:

فقد ثبت في الأخبار رؤية النبي المختار صلى الله عليه وسلم في المنام، وقد روى أصحاب الصحاح والسنن كثيرًا من الأحاديث الدالة على ذلك، وعدَّها البيهقي رحمه الله من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم، وقد عقد بابًا في كتابه «دلائل النبوة»، قال فيه: «باب ما جاء في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في المنام»، وذكر تحته أحاديث كثيرة تدل على ذلك، انظر دلائل النبوة (٧/٤٥).

ومن الأحاديث الواردة في ذلك ما أخرجه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من رآني في المنام فسيراني في اليقظة، ولا يتمثل الشيطان بي». (خ٦٩٩٣)، (م٢٢٦٦). قال أبو عبد الله: قال ابن سيرين: إذا رآه في صورته. وعن أبي قتادة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من رآني فقد رأى الحق». البخاري (٦٩٩٦)، ومسلم (٢٢٦٧)، قال النووي رحمه الله في شرحه للحديث: «اختلف العلماء في معنى قوله صلى الله عليه وسلم: «فقد رآني»، فقال ابن الباقلاني معناه: أن رؤياه صحيحة ليست بأضغاث أحلام ولا من تشبيهات الشيطان، ويؤيد قوله رواية: «فقد رأى الحق»، أي: الرؤيا الصحيحة» شرح النووي على مسلم (١٥/٢٤)، وقد ذهب إلى وقوع رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في المنام جميع أهل السنة، وقالوا بما تضمنته الأحاديث الواردة في ذلك، والرؤية الصحيحة ما وافق فيه الرائي الصفة التي كان عليها النبي صلى الله عليه وسلم، قال ابن حجر: «كان محمد بن سيرين إذا قص عليه رجل أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم قال: صف الذي رأيته، فإن وصف له صفة لا يعرفها، قال: لم تره. وسنده صحيح، ووجدت له ما يؤيده، فقد أخرج الحاكم من طريق عاصم بن كليب: حدثني أبي قال: قلت لابن عباس رضي الله عنهما: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في

المنام. قال: صفه لي، قال: ذكرت الحسن بن علي فشبهته به، قال: قد رأيته. وسنده جيد». (فتح الباري ١٢/ ٣٨٤).

ومما أرى التنبيه عليه وصفًا: أن الرائي لو رأى شيئًا يخالف الشرع فالحجة الشرع، وما رآه الرائي قد يكون من وسوسة الشيطان، أو من حديث النفس، ولا يكون دينًا ولا شرعًا، لأن الحجة قامت على العباد بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وقد جاء الأمر في القرآن باتباعهما، قال الله تعالى: « ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ » (الأعراف: ٣)، وقال سبحانه: «وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ » (س٢٢الحشر:٧)، وعليه أقول: إن علوم الشريعة كلها ليس لها مصدر سوى الوحي الإلهي قرآنًا كان أم سنة، ويجب أن نزن كل كلام بميزان الشرع، فما وافقه فهو صواب، وما خالفه فهو من الضلال، قال ابن حجر: «إن النائم لو رأى النبي صلى الله عليه وسلم يأمره بشيء، هل يجب امتثاله ولا بد، أو لا بد أن يعرضه على الشرع الظاهر؟ فالثاني: هو المعتمد». (فتح الباري: ١٢/ ٣٨٩). ومن المعلوم من دين الإسلام أن النبي صلى الله عليه وسلم بلغ أمته البلاغ المبين عن رب العالمين، ولم يقبضه الله إليه إلا بعد تمام النعمة بإكمال الدين، والأمة بعده صلوات الله وسلامه عليه لا تحتاج إلى زيادة من غيره.

أما عن رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة، فقد ادعاها بعض غلاة الصوفية، ومنهم مؤسس الطريقة التيجانية أبو العباس أحمد التيجاني الذي زعم أنه التقى بالنبي صلى الله عليه وسلم لقاءً حسيًا ماديًا وأنه قد كلمه مشافهة، وأنه تعلم صلاة الفاتح لما أغلق من النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه علمه أن المرة الواحدة منها تعدل قراءة القرآن ست مرات، وصيغة هذه الصلاة:

«اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، الهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم». (انظر كتابه جواهر المعاني وبلوغ الأماني: ١/ ١٣٦).

وقد تجاوزت فرقة البريلوية هذا القدر، حيث زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم حاضر وناظر لأفعال الخلق الآن في كل زمان ومكان. (انظر كتاب جاء الحق ١/ ١٦٠ لأحمد يارخان).

وهذه معتقدات باطلة تتعارض مع أصل الدين، وما جاء عن رب العالمين، وادعاء رؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة يفتح الباب على مصراعيه لهدم الشريعة؛ لأن كثيرًا ممن يدّعون ذلك يحدثون الناس أنهم يتلقون العلم مباشرة من النبي صلى الله عليه وسلم، بل ويصححون أحاديث ويضعفون بحجة أنهم سألوا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجابهم، وهذا القول يرده الشرع والعقل، وبيان ذلك فيما يلي:

أولاً: من جهة الشرع:

لا يصح من عدة وجوه: أولها: أن رؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة بعد موته لم يقل بها أحد من الصحابة كأبي بكر، وعمر، وعثمان، وآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين ثبت تزكيتهم بيقين من القرآن الكريم وشهادة النبي صلى الله عليه وسلم، وهم أولياء الله بلا ريب، وأحب الخلق إلى الله تعالى، ولم يذهب واحد منهم إلى شيء من ذلك، وكذلك التابعين وأتباع التابعين وأئمة الإسلام المشهورين.

ثانيها: أن أموراً عظيمة وقعت لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أفضل الأمة بعد نبيها، وكانوا بحاجة ماسة إلى سؤاله عنها ولم يظهر لهم، ومن هذه الأمور: اختلافهم في مسألة الخلافة، والخلاف الشديد الذي وقع بين طلحة، والزبير، وعائشة من جهة، وعلي بن أبي طالب

وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين من جهة أخرى، والذي أدى إلى وقوع معركة الجمل، وقد قتل فيها خلق كثير من الصحابة والتابعين، فلماذا لم يظهر لهم النبي صلى الله عليه وسلم ويقطع هذا الخلاف الذي وقع، حقنًا لدماء المسلمين، وأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه على جلالة قدره وعظمة شأنه كان يظهر الحزن على عدم معرفته ببعض المسائل الفقهية، ويقول: «ثلاث وددت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفارقنا حتى يعهد إلينا: الجدّ، والكلالة، وأبواب من الربا». والحديث في البخاري برقم (٥٥٨٨)، ومسلم (٣٠٣٢)، فلو كان صلى الله عليه وسلم يظهر لأحد بعد موته لظهر لعمر الفاروق رضي الله عنه وقال: «لا تحزن حكمها كذا وكذا».

قال الشيخ محمد رشيد رضا: «صرح بعض العلماء المحققين بأن دعوى رؤية النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته في اليقظة والأخذ عنه دعوى باطلة، واستدلوا على ذلك بأن أولى الناس بها لو كانت مما يقع ابنته سيدة النساء، وخلفاؤه الراشدون، وسائر أصحابه العلماء، وقد وقعوا في مشكلات وخلاف أفضى بعضه إلى المغاضبة وبعضه إلى القتال، فلو كان يظهر لأحد ويعلمه ويرشده بعد موته لظهر لبنته «فاطمة» عليها السلام وأخبرها بصدق خليفته أبي بكر رضي الله عنه فيما روى عنه من أن الأنبياء لا يورثون وكذا للأقرب والأحب إليه من آله وأصحابه، ثم لمن بعدهم من الأئمة الذين أخذ أكثر أمته دينهم عنهم ولم يدع أحد منهم ذلك، وإنما ادعاه بعض غلاة الصوفية بعد خير القرون وغيرهم من العلماء الذين تغلب عليهم تخيلات الصوفية، والدليل على صحة القول بأن ما يدعونه كذب، أو تخييل ما يروونه عنه صلى الله عليه وسلم في هذه الرؤية وبعض الرؤى المنامية مما تختلف باختلاف معارفهم وأفكارهم ومشاربهم وعقائدهم، وكون بعضه مخالفاً لنص كتاب الله وما ثبت من سنته ثبوتًا قطعيًا». (فتاوى رشيد رضا ٦/٢٣٨٥).

وثالثها: أنه قد ثبت في السنة النبوية أن النبي صلى الله عليه وسلم في خير المنازل، وأنه في أعلى عليين، وقد سأل ربه الرفيق الأعلى وهو في آخر لحظات حياته، كما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «آخر كلمة تكلم بها النبي صلى الله عليه وسلم قوله: «اللهم الرفيق الأعلى». البخاري (٦٥٠٩)، وقد ثبت في السنة أيضًا أن النبي صلى الله عليه وسلم حي في قبره حياة برزخية تختلف عن هذه الحياة الدنيا، وحياته في قبره حياة فضل ورحمة، ونعيم دائم من الله تعالى، لا حياة تكليف، وفيها تعرض عليه صلاة من صلى عليه من أمته، ينقل ذلك له الملائكة حين يرد الله تعالى روحه، وعليه فلا حاجة به، لأن ينتقل إلى من هو دونه من الناس، وإذا كان يخرج ويرتحل كما يزعمون فلا ضرورة لأن يوكل الله تعالى له ملائكة تنقل إليه سلام الناس، وقد أخبر صلى الله عليه وسلم أنه لن يخرج من قبره ولن تنشق عنه الأرض إلا يوم القيامة، كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تخيروا بين الأنبياء، فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من تنشق عنه الأرض». (البخاري: ٢٤١٢).

ومن المعلوم أن أعظم فتنة على الأرض فتنة الدجال، ولن يخرج النبي صلى الله عليه وسلم لأمته عندها، فعدم خروجه عند غيرها من باب أولى، وقد حذر أمته ونصح كل واحد من أمته أن يُعد الحجج اللازمة لإبطال مزاعم الدجال، كما جاء في حديث النواس بن سمعان في مسلم برقم (٢٣٩٧).

أسأل الله تعالى أن يقينا فتنة الدجال وغيرها من الفتن، وللحديث صلة إن شاء الله.

الدين النصيحة

إعداد **الشيخ صفوات الشوادفي**
رحمه الله

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين؛ محمد بن عبد الله النبي الأمي الأمين، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين...

وبعد:

ففي خضم أمواج الحياة المتراكمة، والجري وراء ملذات الحياة والغايات المادية الفانية يتناسى الإنسان ما عليه، ويتذكر ما له!!

وهنا يبرز الإسلام كدين عظيم شامل لم يهمل أي جزئية أو موقفًا صغيرًا أو كبيرًا مما يقع للإنسان أثناء سعيه وكدّه وتقلبه في العاملين.

فالإسلام النصيحة؛ وهي تعني في جوهرها: إيقاظ المسلم من غفوته، وتنبيهه إلى موضع زلته، وتحذيره من غفلته، وإرشاده إلى الصراط المستقيم الذي يدرك به غايته.

من أجل هذا فإنه ينبغي على المسلم أن يسعى في نصح إخوانه وأقرانه وأهل زمانه، وقد عاب القرآن على من قبلنا من الأمم أنهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه؛ أي لا يتناصحون، فاستحقوا بذلك لعنة الله.

ومدح القرآن أمتنا بأنها تقيم النصيحة، وتؤدي ما أوجب الله عليها من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ قال تعالى: «كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ» (آل عمران: ١١٠).

وللنصيحة أثر عظيم، ونفع كبير؛

فرب غافل قد سمع آية من كتاب اللّه أو حديثًا لرسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فانتبه من غفلته، ورب عاص سمع مثل ذلك فتاب إلى اللّه توبة نصوحًا، ورب جائر أثّر فيه كلام واعظ بليغ فأقلع عن جوره، وأقام العدل في نفسه ومع غيره.

ولذلك فإن المسلم الناصح ينصح لأخيه المسلم ويبين له عيوبه سرًا، ويستره ولا يفضحه؛ وأيضًا لا ينافقه ولا يداهنه ظنًا منه أنه بذلك يبقي على المودة والمحبة بينهما!! فإنه لا مودة ولا حب إلا في اللّه ولله.

والمسلم المنصوح عليه أن يقبل النصيحة، وأن يشكر من نصحه لأنه يحب له من الخير والطاعة ما يحب لنفسه، ويكره له من الشر والمعصية ما يكره لنفسه.

ومع هذا فإن هناك طائفة من الناس لا تصغي لناصحها، وأن أصغت ردت نصيحته بقولهم: «عليك نفسك»!! فأين هؤلاء من هذا الموقف العصيب « وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ » (فاطر: ٣٧).

وبعد- أيها القارئ الكريم- فهذه جملة من النصائح التي ذكرها أهل العلم نسوقها إليك، عسى اللّه أن ينفعنا وإياكم بها، وهذا بيانها:

- لا تشرك باللّه شيئًا، وإن قُتلت أو حُرقت.
- ولا تعقن والديك، وإن أمراك أن تَخْرج من أهلك ومالك.
- ولا تتركن صلاة مكتوبة متعمدًا، فإن من ترك صلاة مكتوبة متعمدًا فقد أتى بابًا عظيمًا من الكبائر.
- ولا تشربنّ خمرًا، فإنه رأس كل فاحشة.
- وإياك والمعصية، فإن المعصية تحل سخط اللّه.
- وعليك بتقوى اللّه عز وجل، فإنها جماع كل خير.
- واعتزل شرور الناس تنجو من أذاهم.
- واترك ما لا يعنيك، فإنَّ ذلك أمر محمود.
- واطلب العلم للّه، يكفك القليل.
- وانظر إلى العلماء بعين الإجلال، وأنصت لهم عند المقال، واجعل مراجعتك لهم تفهمًا، لا تعنتًا.
- واعرف زمانك وأقبل على شأنك، واحفظ لسانك، وتحرز من إخوانك.
- ولا تغتر بمدح الناس لك، ولا تصدقهم على خلاف ما تعرف من نفسك.
- وسلِّم على من لقيته أو دخلت عليه أو مررت به من المسلمين.
- وإذا دخلت منزلك فسلِّم على أهلك ومن فيه، فإن لم يكن فيه أحد فقل: السلام علينا وعلى عباد اللّه الصالحين.
- ولا تبدأ أحدًا من أهل الكتاب بالسلام، ولا تقصدهم بتهنئة ولا تعزية، وإذا

> “المسلم الناصح ينصح لأخيه المسلم ويبين له عيوبه سرًا، ويستره ولا يفضحه؛ ولا ينافقه ولا يداهنه.”

سلم أحدهم عليك فقل له: وعليك.

- واستأذن على أمك وذوات محارمك إذا أردت الدخول عليهن.
- واستأذن دائمًا بقولك: السلام عليكم، أأدخل؟ فإن أذن لك، وإلا فارجع.
- ولا تنظر إلى عورة أحد إلاَّ لضرورة، ولا تظهر عورتك لأحد إلاَّ زوجتك.
- ولا تخلُ بامرأة أجنبية عنك ليست من محارمك، حتى لا يكون للشيطان عليك سبيل.
- وأمر أولادك بالصلاة إذا بلغوا سبعًا واضربهم عليها إذا بلغوا عشرًا، فإنك مسئول عنهم أمام الله.
- وغضِّ بصرك عما حرَّم الله، تجد حلاوة الإيمان في قلبك.
- ولا تحدث الناس بما يكون بينك وبين زوجتك، فإن ذلك عليك حرام.
- وعليك بالسواك، فإنه مطهرة للفهم، مرضاة للرب.
- وأكرم جارك، وضيفك، فإن ذلك من أخلاق المسلمين.
- وإياك والكذب والنميمة، فإن كليهما خلة ذميمة.
- ولا تهجر أخاك فوق ثلاث ليال، وخيركما الذي يبدأ بالسلام.
- ولا تصاحب إلاَّ مؤمنًا، ولا يأكل طعامك إلاَّ تقي.
- وإذا انتهيت إلى مجلس فسلِّم واجلس حيث ينتهي بك المجلس، وإذا أردت الانصراف فسلم، فليست الأولى بأحق من الآخرة.

> أكرم جارك، وضيفك، فإن ذلك من أخلاق المسلمين. وإياك والكذب والنميمة، فإن كليهما خلة ذميمة.

- وإذا شربت فناول من عن يمينك، وإذا سقيت قومًا فكن آخرهم شربًا. وإياك أن تأكل أو تشرب بشمالك، فإن ذلك من فعل الشيطان. وإذا أردت أن تأكل فسم الله وكل بيمينك وكل مما يليك، ولا تنفخ في طعام أو شراب، واحمد الله في آخره.
- وإذا أردت قضاء الحاجة فاستتر من الناس بعيدًا عنهم ولا تُحَدِّث أحدًا ما دمت تقضي حاجتك، فإن ذلك ممقوت.
- وإذا تثاءبت فاكظم ذلك ما استطعت، وضع يدك على فمك. واغضض من صوتك إذا تكلمت، وإذا عطست فاحمد الله بصوت مسموع، وإذا عطس عندك أحد فقل له: يرحمك الله، ويقول هو لك: يهديكم الله ويصلح بالكم.
- وإذا كنت في ثلاثة، فلا تتناجى مع أحدهما دون الثالث، لأن ذلك يحزنه، وإياك والتداوي بالحرام، فإنَّ الله لم يجعل الشفاء في حرام. وحافظ على عيادة المريض، ولا تطل الجلوس عنده.
- ولا تكلف أجيرك من العمل إلا ما يطيق.
- وارفق بالدواب في ركوبها والحمل عليها، فإنها لا تستطيع الشكوى، ولك في الإحسان إليها أجر وفي الإساءة إليها وزر، ولا تلبس الحرير أو الذهب، فإن ذلك على الرجال حرام، والبس القصير من

الثياب فإنه أنقى لثوبك وأتقى لربك.

- وإياك والقمار، فإنه موجب لغضب الله.
- ولا تأكل من حرام، فإن ذلك يرد الدعاء. ولا ترفع صوتك في بيت الله، ولا تنشد به ضالة، فإن ذلك منهي عنه. وإذا تكلمت فقل خيرًا، أو اصمت، فإن في السكوت سلامة.
- وعليك بالجليس الصالح فإنه خير من الوحدة، والوحدة خير من جليس السوء.
- وإذا فُتح لك باب خير فسارع إليه، واثبت عليه.
- وإياك أن تمشي بالنميمة بين الناس، فإنَّ ذلك يوجب عذاب القبر.
- وإياك والحسد والغل والحقد والبغضاء وسوء الظن، فإنها أمور مذمومة.
- وأحسن تلاوة القرآن، واستمع إليه، وتدبر معانيه، واعمل بما فيه، وسارع دائمًا إلى امتثال أمر الله، واجتناب نهيه.
- كن صادق الكلمة فلا تكذب، ووفي العهد والوعد فلا تخلف.
- عليك بالصبر والشجاعة وكتمان السر والصراحة في الحق، واعترف دائمًا بخطئك.
- عليك بالوقار وإيثار الجد دائمًا ولا تمزح إلا صادقًا، وتواضع للناس في غير ذلة ولا خضوع ولا قلق، وخير التواضع ما كان لفقير ويتيم ومسكين وأرملة.
- أكثر من المشورة تصل إلى الصواب، وعليك بالقناعة فإنها مال لا ينفد.
- واعلم أن الموت آت، وكل آت قريب، فأكثر ذكره واجعله يصرفك عن الرغبة في الدنيا ويحملك على التقوى.

> “ أحسن تلاوة القرآن، واستمع إليه، وتدبر معانيه، واعمل بما فيه، وسارع دائمًا إلى امتثال أمر الله، واجتناب نهيه. ”

وبعد... أخي القارئ الكريم، ما هو وجه انتفاعك بهذه النصائح، أهو مجرد قراءة عابرة لإحدى صفحات المجلة؟ أم تأمل لكنه لا يلبث أن يزول في متاهات دنياك؟ أم هو تبصر وعزم ثابت للعمل بكل ما هو مفيد؟

أخي القارئ، بإمكانك الانتفاع في نفسك ونفع غيرك فترشدهم إلى الخير، والدال على الخير كفاعله، وذلك بكتابة هذه النصائح على لوحات ووضعها في الأماكن العامة والمساجد أو قراءتها في المحاضرات أو على جيرانك وأهليك، وقبل ذلك على أسرتك أو بأي طريقة أخرى تراها مناسبة.

ولكن.. الحذر الحذر من أن تدعو غيرك من غير إقامتها في نفسك، فتكون ممتثلاً قول الشاعر:

وغير تقي يأمر الناس بالتقى
طبيب يداوي والطبيب مريض

وأخيرًا أخي المسلم عليك بتقوى الله في السر والعلن، لتفوز بالسعادة في الدارين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه.

سُورَةُ الْفَتْحِ

الحلقة الأولى

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

سُورَةُ الْفَتْحِ سُورَةٌ مَدَنِيَّةٌ، وَالْمُرَادُ بِالْفَتْحِ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ، كَمَا فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه: «إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا» قَالَ: «الْحُدَيْبِيَةُ» (صحيح البخاري ٤١٧٢). وَعَنِ الْبَرَاءِ رضي الله عنه قَالَ: تَعُدُّونَ أَنْتُمُ الْفَتْحَ فَتْحَ مَكَّةَ، وَقَدْ كَانَ فَتْحُ مَكَّةَ فَتْحًا، وَنَحْنُ نَعُدُّ الْفَتْحَ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ (صحيح البخاري ٤١٥٠).

إعداد د. عبد العظيم بدوي

وَيُؤَيِّدُهُ أَنَّ السُّورَةَ نَزَلَتْ مُنْصَرَفَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم مِنَ الْحُدَيْبِيَةِ: عَنْ قَتَادَةَ أَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ حَدَّثَهُمْ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: «إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا» إِلَى قَوْلِهِ: «فَوْزًا عَظِيمًا» مَرْجِعَهُ مِنَ الْحُدَيْبِيَةِ، وَهُمْ يُخَالِطُهُمُ الْحُزْنُ وَالْكَآبَةُ، وَقَدْ نَحَرَ الْهَدْيَ بِالْحُدَيْبِيَةِ، فَقَالَ: «لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آيَةٌ هِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا» (صحيح البخاري ٤١٧٢).

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ: كَانَتِ الْحُدَيْبِيَةُ فَتْحًا لِأَنَّهَا كَانَتْ مَبْدَأَ الْفَتْحِ الْمُبِينِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، لِمَا تَرَتَّبَ عَلَى الصُّلْحِ الَّذِي وَقَعَ مِنْهُ الْأَمْنُ وَرَفْعُ الْحَرْبِ، وَتَمَكَّنَ مَنْ يَخْشَى الدُّخُولَ فِي الْإِسْلَامِ وَالْوُصُولَ إِلَى الْمَدِينَةِ مِنْ ذَلِكَ كَمَا وَقَعَ لِخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ وَغَيْرِهِمَا ثُمَّ تَبِعَتِ الْأَسْبَابُ بَعْضُهَا بَعْضًا إِلَى أَنْ كَمُلَ الْفَتْحُ.

وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي الْمَغَازِي عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: لَمْ يَكُنْ فِي الْإِسْلَامِ فَتْحٌ قَبْلَ فَتْحِ الْحُدَيْبِيَةِ أَعْظَمَ مِنْهُ، إِنَّمَا كَانَ الْكُفْرُ حَيْثُ الْقِتَالُ، فَلَمَّا أَمِنَ النَّاسُ كُلُّهُمْ كَلَّمَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَتَفَاوَضُوا فِي الْحَدِيثِ وَالْمُنَازَعَةِ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ فِي الْإِسْلَامِ يَعْقِلُ شَيْئًا إِلَّا بَادَرَ إِلَى الدُّخُولِ فِيهِ، فَلَقَدْ دَخَلَ فِي تِلْكَ السَّنَتَيْنِ مِثْلُ مَنْ كَانَ دَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ قَبْلَ ذَلِكَ أَوْ أَكْثَرُ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيَدُلُّ عَلَيْهِ أَنَّهُ صلى الله عليه وسلم خَرَجَ فِي الْحُدَيْبِيَةِ فِي أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ثُمَّ خَرَجَ بَعْدَ سَنَتَيْنِ إِلَى فَتْحِ مَكَّةَ فِي عَشَرَةِ آلَافٍ. (فتح الباري ٧/ ٤٤١).

وَمِمَّا يُعِينُ عَلَى فَهْمِ الْآيَاتِ مَعْرِفَةُ الْوَقَائِعِ وَالْأَحْدَاثِ، الَّتِي كَانَتْ فِي هَذَا الصُّلْحِ، فَمَا هُوَ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ؟ وَمَا هِيَ وَقَائِعُهُ وَأَحْدَاثُهُ؟ وَمَا هِيَ الْأَسْبَابُ الَّتِي أَفْضَتْ إِلَيْهِ؟

رَأَى رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فِي مَنَامِهِ أَنَّهُ دَاخِلٌ مَكَّةَ وَطَائِفٌ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ، وَرُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ وَحْيٌ، فَأَوَّلَهَا صلى الله عليه وسلم بِأَنَّهَا إِذْنٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى لَهُ لِدُخُولِ مَكَّةَ، فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ فِي النَّاسِ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم مُعْتَمِرٌ، فَأَجَابَهُ أَلْفٌ وَأَرْبَعُمَائَةٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ، وَظَنَّ الْمُنَافِقُونَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ، وَظَنُّوا أَنَّ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ إِنْ دَنَوْا مِنْ مَكَّةَ فَسَيَسْتَأْصِلُهُمُ الْعَرَبُ، فَلَا يَرْجِعُ مِنْهُمْ أَحَدٌ.

وَخَرَجَ صلى الله عليه وسلم مَعَ هَذَا الصَّحْبِ الْكِرَامِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنَ السَّنَةِ السَّادِسَةِ، فَلَمَّا كَانُوا بِذِي الْحُلَيْفَةِ قَلَّدَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بَدَنَهُ وَأَشْعَرَهَا، ثُمَّ أَحْرَمَ بِالْعُمْرَةِ، لَا يَشُكُّ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ أَنَّهُمْ قَادِمُونَ مَكَّةَ وَطَائِفُونَ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ.

عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، وَمَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، يَزِيدُ أَحَدُهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ قَالَا: خَرَجَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ فِي بِضْعَ عَشْرَةَ مِائَةً مِنْ أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا أَتَى ذَا الْحُلَيْفَةِ، قَلَّدَ الْهَدْيَ وَأَشْعَرَهُ، وَأَحْرَمَ مِنْهَا بِعُمْرَةٍ، وَبَعَثَ عَيْنًا لَهُ مِنْ خُزَاعَةَ، وَسَارَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم حَتَّى كَانَ بِغَدِيرِ الْأَشْطَاطِ أَتَاهُ عَيْنُهُ، قَالَ: إِنَّ قُرَيْشًا جَمَعُوا لَكَ جُمُوعًا، وَقَدْ جَمَعُوا لَكَ الْأَحَابِيشَ، وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ، وَصَادُّوكَ عَنِ الْبَيْتِ، وَمَانِعُوكَ، فَقَالَ: «أَشِيرُوا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيَّ، أَتَرَوْنَ أَنْ أَمِيلَ إِلَى عِيَالِهِمْ وَذَرَارِيِّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَصُدُّونَا عَنِ الْبَيْتِ، فَإِنْ يَأْتُونَا كَانَ اللهُ عز وجل قَدْ قَطَعَ عَيْنًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَإِلَّا تَرَكْنَاهُمْ مَحْرُوبِينَ»، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللهِ، خَرَجْتَ عَامِدًا لِهَذَا الْبَيْتِ، لَا تُرِيدُ قَتْلَ أَحَدٍ، وَلَا حَرْبَ أَحَدٍ، فَتَوَجَّهْ لَهُ، فَمَنْ صَدَّنَا عَنْهُ قَاتَلْنَاهُ. قَالَ: «امْضُوا عَلَى اسْمِ اللهِ». (صحيح البخاري ٤١٧٨).

وَعَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَمَرْوَانَ يُصَدِّقُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَدِيثَ صَاحِبِهِ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم زَمَنَ الْحُدَيْبِيَةِ، حَتَّى كَانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ بِالْغَمِيمِ فِي خَيْلٍ لِقُرَيْشٍ طَلِيعَةً، فَخُذُوا ذَاتَ الْيَمِينِ". فَوَاللهِ مَا شَعَرَ بِهِمْ خَالِدٌ حَتَّى إِذَا هُمْ بِقَتَرَةِ الْجَيْشِ، فَانْطَلَقَ يَرْكُضُ نَذِيرًا لِقُرَيْشٍ، وَسَارَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم حَتَّى إِذَا كَانَ بِالثَّنِيَّةِ الَّتِي يُهْبَطُ عَلَيْهِمْ مِنْهَا، بَرَكَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ. فَقَالَ النَّاسُ: حَلْ. حَلْ. فَأَلَحَّتْ، فَقَالُوا خَلَأَتِ الْقَصْوَاءُ، خَلَأَتِ الْقَصْوَاءُ. فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «مَا خَلَأَتِ الْقَصْوَاءُ، وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا».

ثُمَّ زَجَرَهَا فَوَثَبَتْ، قَالَ: فَعَدَلَ عَنْهُمْ حَتَّى نَزَلَ بِأَقْصَى الْحُدَيْبِيَةِ، عَلَى ثَمَدٍ قَلِيلِ الْمَاءِ، يَتَبَرَّضُهُ النَّاسُ تَبَرُّضًا، فَلَمْ يُلَبِّثْهُ النَّاسُ حَتَّى نَزَحُوهُ، وَشُكِيَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم الْعَطَشُ، فَانْتَزَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوهُ فِيهِ، فَوَاللهِ مَا زَالَ يَجِيشُ لَهُمْ بِالرِّيِّ حَتَّى صَدَرُوا عَنْهُ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ جَاءَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ الْخُزَاعِيُّ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ خُزَاعَةَ، وَكَانُوا عَيْبَةَ نُصْحِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ أَهْلِ تِهَامَةَ، فَقَالَ: إِنِّي تَرَكْتُ كَعْبَ بْنَ لُؤَيٍّ، وَعَامِرَ بْنَ لُؤَيٍّ، نَزَلُوا أَعْدَادَ مِيَاهِ الْحُدَيْبِيَةِ، وَمَعَهُمُ الْعُوذُ الْمَطَافِيلُ، وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ

وَصَادُّوكَ عَنِ الْبَيْت. فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: «إنَّا لَمْ نَجِيءْ لقتَال أَحَد، وَلَكنَّا جِئْنَا مُعْتَمرِينَ، وَإنَّ قُرَيْشًا قَدْ نَهكَتْهُمُ الْحَرْبُ، وَأَضَرَّتْ بِهِمْ، فَإِنْ شَاؤُوا مَادَدْتُهُمْ مُدَّةً، وَيُخَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاس، فَإِنْ أَظْهَرْ فَإِنْ شَاؤُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيه النَّاسُ فَعَلُوا، وَإلاَّ فَقَدْ جَمُّوا (أي: استراحوا)، وَإنْ هُمْ أَبَوْا فَوَالَّذي نَفْسي بِيَده، لأُقَاتلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي، وَلَيُنْفِذَنَّ اللَّه أَمْرَهُ».

فَقَالَ بُدَيْلٌ: سَأُبَلِّغُهُمْ مَا تَقُولُ. قَالَ: فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى قُرَيْشًا قَالَ: إنَّا قَدْ جِئْنَاكُمْ مِنْ هَذَا الرَّجُل، وَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ قَوْلاً، فَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ نَعْرِضَهُ عَلَيْكُمْ فَعَلْنَا، فَقَالَ سُفَهَاؤُهُمْ: لاَ حَاجَةَ لَنَا أَنْ تُخْبِرَنَا عَنْهُ بِشَيْءٍ. وَقَالَ ذَوُو الرَّأْيِ مِنْهُمْ: هَاتِ مَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ. قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا، فَحَدَّثَهُمْ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم. فَقَامَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُود فَقَالَ: أَيْ قَوْمِ! أَلَسْتُمْ بِالْوَالِدِ؟ قَالُوا بَلَى. قَالَ: أَوَ لَسْتُ بِالْوَلَدِ؟ قَالُوا بَلَى. قَالَ: فَهَلْ تَتَّهِمُونِي؟ قَالُوا لاَ. قَالَ: أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي اسْتَنْفَرْتُ أَهْلَ عُكَاظ، فَلَمَّا بَلَّحُوا عَلَيَّ جِئْتُكُمْ بِأَهْلِي وَوَلَدِي وَمَنْ أَطَاعَنِي؟ قَالُوا بَلَى. قَالَ: فَإِنَّ هَذَا قَدْ عَرَضَ لَكُمْ خُطَّةَ رُشْد، اقْبَلُوهَا وَدَعُونِي آتِه. قَالُوا ائْتِه.

فَأَتَاهُ فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم نَحْوًا مِنْ قَوْله لِبُدَيْل، فَقَالَ عُرْوَةُ عِنْدَ ذَلِكَ: أَيْ مُحَمَّدُ، أَرَأَيْتَ إنِ اسْتَأْصَلْتَ أَمْرَ قَوْمِكَ، هَلْ سَمِعْتَ بِأَحَد مِنَ الْعَرَبِ اجْتَاحَ أَهْلَهُ قَبْلَكَ؟! وَإنْ تَكُنِ الأُخْرَى، فَإِنِّي وَاللَّه لأَرَى وُجُوهًا، وَإنِّي لأَرَى أَوْشَابًا مِنَ النَّاس خَلِيقًا أَنْ يَفِرُّوا وَيَدَعُوكَ. فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْر: امْصُصْ بَظْرَ اللاَّت، أَنَحْنُ نَفِرُّ عَنْهُ وَنَدَعُهُ؟! فَقَالَ مَنْ ذَا؟ قَالُوا أَبُو بَكْر. قَالَ: أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَده! لَوْلاَ يَدٌ كَانَتْ لَكَ عِنْدِي لَمْ أَجْزِكَ بِهَا لأَجَبْتُكَ.

قَالَ: وَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَكُلَّمَا تَكَلَّمَ أَخَذَ بِلِحْيَته، وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَمَعَهُ السَّيْفُ وَعَلَيْهِ الْمِغْفَرُ، فَكُلَّمَا أَهْوَى عُرْوَةُ بِيَده إلَى لِحْيَة النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ضَرَبَ يَدَهُ بِنَعْلِ السَّيْف، وَقَالَ لَهُ: أَخِّرْ يَدَكَ عَنْ لِحْيَة رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وسلم. فَرَفَعَ عُرْوَةُ رَأْسَهُ فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ. فَقَالَ أَيْ غُدَرُ، أَلَسْتُ أَسْعَى فِي غَدْرَتِكَ؟! وَكَانَ الْمُغِيرَةُ صَحِبَ قَوْمًا فِي الْجَاهِلِيَّة، فَقَتَلَهُمْ، وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ، ثُمَّ جَاءَ فَأَسْلَمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «أَمَّا الإسْلاَمَ فَأَقْبَلُ، وَأَمَّا الْمَالَ فَلَسْتُ مِنْهُ فِي شَيْءٍ».

ثُمَّ إنَّ عُرْوَةَ جَعَلَ يَرْمُقُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بِعَيْنَيْه. قَالَ: فَوَاللَّه مَا تَنَخَّمَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم نُخَامَةً إلاَّ وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإذَا أَمَرَهُمُ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئه، وَإذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إلَيْه النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ، فَرَجَعَ عُرْوَةُ إلَى أَصْحَابه، فَقَالَ: أَيْ قَوْم، وَاللَّه لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ، وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ وَكِسْرَى وَالنَّجَاشِيِّ، وَاللَّه إنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ، يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم مُحَمَّدًا، وَإنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْد، فَاقْبَلُوهَا.

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ: دَعُونِي آتِه. فَقَالُوا ائْتِه.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

الحلقة الثالثة

التطبيق المعاصر للزكاة

أحكام وحساب زكاة الثروة النقدية والاستثمارات المالية

إعداد د. حسين حسين شحاتة
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

المال عصب الحياة، ومن مصادره: العمل الحلال الطيب، والهبة، والوصية، أو الميراث، ونحو ذلك، ويخضع المال النقدي واستثماراته للزكاة، ودليل ذلك قول الله عز وجل: «وَالَّذينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفضَّةَ وَلاَ يُنفقُونَهَا في سَبيلِ اللَّه فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَليم» (التوبة: ٣٤)، كما حذَّر الرسول صلى الله عليه وسلم من منع الزكاة فقال: "ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى منها حقَّها، إلاَّ كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار، فأحمى عليها في نار جهنم..". الحديث (رواه مسلم).

ومن أنواع المال الذى تجب فيه زكاة الثروة النقدية ما يلي:

النقود المطلقة ومنها: الذهب والفضة وما في حكمهما.

النقود المقيدة ومنها: النقود المعدنية والورقية وما في حكمهما.

الديون لدى الغير والأمانات والعُهد النقدية.

- **الحلي والصداق.**
- **الأوراق المالية مثل: الأسهم، والسندات، والصكوك.**
- **الودائع الاستثمارية لدى المصارف والبنوك.**

كما ظهرت بعض المؤسسات والشركات التي تتعامل بالثروة النقدية، والاستثمارات المالية مثل: شركات الصرافة، والبنوك، والمصارف وصناديق، وشركات الاستثمار، وظهر بشأنها العديد من التساؤلات حول كيفية حساب زكاة الأموال المستثمرة فيها.

ويختص هذا المقال ببيان الأحكام الفقهية والأسس والنماذج المحاسبية لزكاة الثروة النقدية والاستثمارات والمؤسسات المالية مع

إعطاء نماذج تطبيقية للاسترشاد بها في الواقع العملي، وكذلك بيان الحكم الشرعي لبعض المسائل المعاصرة في هذا المجال.

أحكام وحساب زكاة الثروة النقدية:

يحكم حساب زكاة الثروة النقدية الأسس الآتية:

(١) يجب حصر الثروة النقدية في نهاية الحول، وهو التاريخ المختار لأداء الزكاة، وتقوّم على أساس القيمة السوقية أو الحاضرة، وبالنسبة للعملات الأجنبية فإنها تقوّم على أساس سعر الصرف الحر السائد وقت حلول الزكاة

(٢) تحديد وتقويم عناصر الثروة النقدية: وهي الذهب، والفضة، والنقود الورقية، والمعدنية، والحسابات الجارية، والودائع لدى البنوك والمصارف، وكذلك النقدية بالخزائن، وما في حكم ذلك، كما يدخل في نطاقها العملات الأجنبية، وتُقَوّم على أساس القيمة الحاضرة وقت وجوب الزكاة.

(٣) يُخْصَم من الثروة النقدية الالتزامات والديون الحالة للغير إن وجدت للوصول إلى صافى الوعاء الخاضع للزكاة الذى سوف يقارن بالنصاب.

(٤) يُحْسَب نصاب الثروة النقدية بما يعادل ٨٥ جراماً من الذهب عيار ٢١ ويُقَوّم على أساس السعر الساري وقت حلول الزكاة، فإذا وصل الوعاء النصاب تحسب الزكاة.

(٥) سعر زكاة الثروة النقدية ٢,٥ ٪ على أساس السنة القمرية و٢,٥٧٥ ٪ على أساس السنة الشمسية.

(٦) يُحُسَب مقدار الزكاة عن طريق ضرب وعاء الزكاة في سعر الزكاة.

(٧) ليس من الضروري أن تمر على كل وحدة نقدية حولاً كاملاً بل العبْرَة بالوعاء في أول الحول وفى نهايته، فإذا وصل الوعاء النصاب تحسب الزكاة.

(٨) تُضَم الأموال النقدية بعضها إلى بعض لاتحاد الطبيعة والنصاب والحول والسعر، فعلى سبيل المثال تضم النقود الذهبية إلى الورقية إلى الودائع في البنوك إلى الذهب والفضة وهكذا.

أحكام وحساب زكاة الديون على الغير

الدين هو مبلغ في الذمة على الغير، وتقسم الديون من منظور الخضوع للزكاة إلى:

(١) ديون جيدة مرجوة التحصيل: تخضع للزكاة كل حول، إذ تضاف إلى الأموال الزكوية وتزكى بمعدل ٢,٥٪ على أساس السنة الهجرية.

(٢) ديون مشكوك في تحصيلها، غير مرجَوة التحصيل: والرأي الأرجح أنها لا تزكى وإن حُصّلَت فإنها تضاف إلى بقية الأموال النقدية وتزكى لحول واحد، هذا هو الرأي الذى سوف نأخذ به.

(٣) ديون ضمار معدومة: لا تزكى وإن حُصلت فإنها تضاف إلى بقية الأموال الزكوية وتزكى لحول واحد.

أحكام وحساب زكاة الحلي

يقصد بالحلي: الذهب والفضة وما في حكم ذلك، الذى يستعمله النساء عادة للزينة ولقد اختلف الفقهاء حول زكاته على النحو التالي:

الرأي الأول: لا يخضع للزكاة مهما كان وزنه أو مقداره.

الرأي الثاني: يخضع للزكاة متى وصل النصاب وحال عليه الحول.

الرأي الثالث: لا يخضع للزكاة متى كان في حدود المعتاد، وما يزيد عن المعتاد يخضع للزكاة، وهذا هو الرأي الأرجح الذى سوف نأخذ به.

ويتوقف مقدار المعتاد من حلي المرأة المعد للزينة حسب المستوى الاجتماعي للأسرة والقبيلة والزمان والمكان، فالقدر المعتاد لامرأة تعيش في مصر يختلف عن القدر المعتاد لامرأة تعيش في الحجاز، والقدر المعتاد لامرأة ثرية يختلف عن المعتاد لامرأة فقيرة وهكذا.

والحلي المرصد للاستثمار وليس للزينة يخضع للزكاة جميعه متى وصل النصاب وحال عليه الحول ويطبق عليه أحكام الثروة النقدية السابق بيانها.

أمّا إذا كان لدى بعض الرجال أشياء ذهبية: مثل ساعة من ذهب، قلم كتابة من ذهب، أو سلسلة من ذهب، فمن منظور الفقه الإسلامي فهذا محرم، ويجب تسييله إلى نقد، ومن منظور الزكاة فإنه

يُقَوَّم حسب قيمته السوقية ويخضع للزكاة بنسبة ٢,٥٪.

أحكام وحساب زكاة الصداق

الصداق: (المَهْرُ): القدر من المال المفروض للمرأة على الرجل، لتطييب نفسها، وهو حق لها وليس لأبيها أو لغيره. ودليل ذلك قول الله تبارك وتعالى: «وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً» (النساء: ٤).

الأصل تعجيل أداء الصداق، ويجوز تأجيله، أو تعجيل البعض وتأجيل البعض الآخر حسب الاتفاق والتراضي، والأولى التعجيل، والمؤجل هو دين في ذمة الزوج.

ويختلف حكم زكاة الصداق حسب التعجيل والتأجيل على النحو التالي:

(١) زكاة الصداق المعجل: إذا احتفظت المرأة به ولم تعطه أحداً ولم تنفقه يضم إلى بقية أموالها النقدية الأخرى ويزكى بنسبة ٢,٥٪ عند حلول ميعاد الزكاة.

(٢) زكاة الصداق المؤجل: يأخذ حكم زكاة الدين: فإذا كانت النيَّة والاتفاق أن سداده مرتبطٌ بوفاة الزوج أو الطلاق، فليس عليه زكاة وعند قبضه يضم إلى بقية الأموال النقدية ويزكي الجميع إذا بلغ النصاب عند حلول ميعاد الزكاة، أمَّا إذا كانت النيَة والاتفاق أنه يسدد عند طلبه والزوج مليء وموسر، ففي هذه الحالة يضم سنويًا إلى أموالها الزكوية ويزكى معها متى وصل الكل النصاب عند حلول ميعاد الزكاة.

أحكام وحساب زكاة الاستثمارات المالية:

يُقصد بالاستثمارات المالية: المبالغ المعطاة للغير لاستثمارها وفقًا لنظام المضاربة أو المشاركة أو نحو ذلك: ويحكم حساب زكاتها ما يلي:

(١) يشمل نطاق الاستثمارات المالية: الأسهم، والسندات، والصكوك، وشهادات الاستثمار، وما في حكم ذلك.

(٢) تُحصر الاستثمارات المالية لدى المزكي في نهاية الحول وتقوَّم على النحو التالي:

- الأسهم العادية: على أساس القيمة السوقية في سوق الأوراق المالية.
- الأسهم الممتازة: على أساس القيمة السوقية في سوق الأوراق المالية.
- السندات: على أساس القيمة الاسمية.
- صكوك الاستثمار: على أساس القيمة السوقية أو الحاضرة.
- شهادات الاستثمار: على أساس القيمة الاسمية.
- السندات: على أساس القيمة الاسمية.
- دفاتر التوفير: على أساس القيمة الاسمية.

(٣) يُضاف إلى الاستثمارات السابقة عوائدها الحلال إن وُجدت، ولا يدخل في وعاء الزكاة الفوائد الربوية والكسب الحرام حيث يتم التخلص منهما في وجوه الخير.

(٤) الأوراق المالية المقتناة بقصد الحصول على العائد: يخضع صافي عائدها فقط، حيث تعامل معاملة عروض القنية بغرض الحصول على الإيراد.

(٥) يُطرح من الاستثمارات المالية بعاليه ما يلي:

- الالتزامات (الخصوم) الحالّة.
- نفقات الحاجات الأصلية الفعلية.
- أي مدفوعات لمشتريات.

وبذلك يكون الصافي هو وعاء الزكاة الذي يُقارن بالنصاب.

(٦) إذا وصل الوعاء النصاب، وهو ما يعادل ٨٥ جرامًا من الذهب عيار ٢١، تُحسب الزكاة على أساس ٢,٥ ٪ أو ٢,٥٧٥٪.

أحكام وحساب زكاة نشاط الصرافة:

تخضع شركات الصرافة للزكاة: حيث تحصر الأموال النقدية والاستثمارات المالية في نهاية الحول ويطرح من ذلك الالتزامات الحالة قصيرة الأجل، ويكون الفرق هو وعاء الزكاة، ويطبق عليها أحكام زكاة الثروة النقدية السابق بيانها قبل قليل.

أحكام وحساب زكاة المصارف الإسلامية:

تخضع المصارف الإسلامية للزكاة: حيث تحصر الأموال النقدية والاستثمارات المالية في نهاية الحول، ويطرح من ذلك الالتزامات الحالة قصيرة الأجل ويكون الفرق هو وعاء الزكاة، ويطبق عليها أحكام زكاة الثروة النقدية السابق بيانها.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

من أخلاق حملة القرآن

الصبر على تعلمه والرحلة في طلبه

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فما يزال الحديث متصلاً عن أخلاق حملة القرآن الكريم، واليوم نتحدث عن صبر حملة القرآن، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

إن الصبر خُلق عظيم، وهو زاد طالب العلم لنَيْل مراده، وبه تُنَال الإمامة في الدين، كما قال تعالى: « وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ » (السجدة: ٢٤)، وقد قال موسى -صلى الله عليه وسلم- للخضر لما أراد صحبته ليتعلم منه « سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا » (الكهف: ٦٩).

إعداد **د. أسامة صابر**

إن الصبر ضروري لحفظ القرآن، قال أبو عبدالرحمن السلمي: "حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن أنهم كانوا لا يتجاوزون عشر آيات حتى يعلموا ما فيهن من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا العلم والعمل جميعًا".

وقد يقبل البعض على حفظ القرآن بحماس وهمَّة، ويعزم على حفظه في أشهر قلائل، ولكنه عما قليل تفتر همَّته، ويدع الحفظ، ويتفلت منه ما حفظه؛ لأنه لم يتحل بالصبر.

وبالصبر على حفظ المتون في التجويد والقراءات تحاز الفنون، ويرسخ العلم وينضبط، وقد يتحمَّس البعض لتعلم القراءات، ويحفظ أبياتًا من الشاطبية، ويلتحق بحلقة عادة ما تبدأ بأعداد غفيرة ثم تتناقص وتفتر الهمَم، ولا يفوز بالمراد من هذا العلم المبارك إلا مَن تحلَّى بالصبر على طول زمن المدارسة والطلب.

وبالصبر على ملازمة الشيوخ والقراءة عليهم يُتقن الطالب التلاوة ويُقَوَّم لسانه، قال الإمام النووي رحمه الله في كتابه (التبيان في آداب حملة القرآن): "ومن آدابه أن يتحمَّل جفوة الشيخ، وسوء خُلقه، ولا يَصُدُّه ذلك عن ملازمته"، وقال: "وإذا جفاه الشيخ ابتدأ هو بالاعتذار إلى الشيخ، وأظهر أن الذنب له، والعتب عليه، فذلك أنفع له في الدنيا والآخرة، وأبقى لقلب الشيخ له. وقد قالوا: مَن لم يصبر على ذلّ التعلم بقي عمره في عماية الجهالة، ومَن صبَر عليه آل أمره إلى عز الآخرة والدنيا".

ومن طلبة علم القراءات مَن يتعجَّل في القراءة على الشيوخ، وهمه الشاغل الحصول على الإجازة، ولا يصبر على عرض الأوجه مع دقة التحريرات، فيفوته الإتقان والضبط. وصدق القائل:

أخي لن تنال العلم إلا بستة
سأنْبيك عن تفصيلها ببيان
ذكاء وحرص واصطبار وبُلْغَة
وصحبة أستاذ وطول زمان

وهذه ومضات من أحوال أهل القرآن تُبيِّن صبرهم على تعلمه:

- اليزيدي (وهو الإمام أبو محمد يحيى بن المبارك البصرى المقرئ النحوي)، نقل قراءة أبي عمرو، وضبَطها، وأخذ عنه علوم العربية، قال عنه الفضل بن شاذان: كان اليزيدي مؤدَّبًا على باب أبي عمرو،

وكان يخدمه في حوائجه، وربما أمسك المصحف على أبي عمرو فقرأ عليه.

- شعبة (أبو بكر بن عياش الكوفي): قال: "تعلمت من عاصم القرآن كما يتعلم الصبي من المعلم"، وقال: "تعلمت من عاصم خمسًا خمسًا، واختلفت إليه نحوًا من ثلاث سنين في الحر والشتاء والمطر".

- محمد بن علي السلمي: قمت ليلةً سحرًا لأخذ النوبة (أي: للقراءة) على ابن الأخرم، فوجدت قد سبقني ثلاثون قارئًا، ولم تدركني النوبة إلى العصر.

صور من علو هِمّتهم في الرحلة لطلب القرآن الكريم:

- ورش (عثمان بن سعيد شيخ الإقراء بمصر) يروي قصة رحلته إلى الإمام نافع للقراءة عليه فيقول، فيما نقله أبو عمرو الداني بسنده عنه: خرجت من مصر لأقرأ على نافع، فلما وصلت إلى المدينة صرت إلى مسجد نافع، فإذا هو لا تُطاق القراءة عليه من كثرتهم، وإنّما يُقرئ ثلاثين، فجلست خلف الحلقة، وقلتُ لإنسان من أكبر النّاس عند نافع فقال لي: كبير الجعفريين فقلت: فكيف به؟ قال: أنا أجيء معك إلى منزله، وجئنا إلى منزله فخرج شيخ فقلتُ: أنا من مصر جئتُ لأقرأ على نافع فلم أصل إليه وأُخْبِرتُ أنّك من أصدق النّاس له وأنا أريد أن تكون الوسيلةَ إليه، فقال: نعم وكرامة وأخذ طيلسانه ومضى معنا إلى نافع وكان لنافع كنيتان أبو رويم وأبو عبدالله؛ فبأيّهما نُوديَ أجاب فقال له الجعفريُّ: هذا وسيلتي إليكَ جاء من مصر ليس معه تجارة ولا جاء لحجّ إنّما جاء للقراءة خاصّة، فقال: ترى ما ألقى من أبناء المهاجرين والأنصار فقال صديقه: تحتال له، فقال لي نافع: أيمكنك أن تبيت في المسجد؟ قلت: نعم فبتُّ في المسجد فلمّا أن كان الفجر جاء نافع فقال: ما فعل الغريب؟ فقلتُ: ها أنا رحمك الله قال: أنتَ أولى بالقراءة، قال: وكنتُ مع ذلك حسنَ الصوت مدّادًا به فاستفتحتُ فملأ صوتي مسجدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأتُ ثلاثين آية فأشار بيده أن اسكت فسكت، فقام إليه شاب من الحلقة، فقال: يا معلم- أعزّك الله- نحن معك وهذا رجل غريب وإنما رحل للقراءة عليك وقد جعلتُ له عشرًا، وأقتصرُ على عشرين، فقال: نعم وكرامة فقرأتُ عشرًا، فقام فتى آخر: فقال كقول صاحبه فقرأتُ عشرًا وقعدتُ حتى لم يبق له أحد ممن له قراءة، فقال لي: اقرأ فأقرأني خمسين آية، فما زلتُ أقرأ عليه خمسين في خمسين حتى قرأتُ عليه ختمات قبل أن أخرج من المدينة.

فتأمل إيثار هؤلاء الطلاب للإمام ورش بوقتهم، فهؤلاء لم يُذْكَرُوا ونُسيَتْ أسماؤهم، وبقيت قراءة ورش معلمًا في علم القراءات، فرضي الله عن هؤلاء الذين آثروا ورشًا بوقتهم من الإمام نافع، ورحم الله أهل القرآن على مَرّ العصور.

- مكي بن أبي طالب المغربي القيرواني: سافر إلى مصر وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وأكمل القرآن ورجع إلى القيروان، ثم ارتحل فقرأ القراءات على ابن غلبون، ثم دخل الأندلس وجلس للإقراء بجامع قرطبة.

- الهذلي (يوسف بن عبد الله بن جبارة الإمام أبو القاسم الهذلي المغربي صاحب كتاب الكامل): ارتحل من بلده إلى مصر، والحجاز، والشام، والعراق، وأصبهان، وخراسان، وما وراء النهر، وإقليم الترك، وقال: "فجملة مَن لقيت في هذا العلم (يعنى الشيوخ الذين قرأ عليهم) ثلاثمائة وخمسة وستون شيخًا من آخر المغرب إلى باب فرغانة، يمينًا وشمالاً، وجبلاً وبحرًا، ولو علمت أحدًا يُقَدَّمُ عليَّ في هذه الطريقة في جميع بلاد الإسلام لقصدته".

- الإمام أبو العلاء الهمذاني العطار (الحسن بن أحمد بن أحمد بن محمد بن سهل)، مؤلف كتاب "الغاية في القراءات العشر"؛ رحل في طلب القراءات، والحديث إلى أصبهان، وبغداد، وكان من أبناء التجار فأنفق جميع ما ورثه في طلب العلم حتى سافر إلى بغداد، وأصبهان مرات ماشيًا، وكان يحمل كتبه على ظهره، وكان يقرئ نصف نهاره القرآن والعلم، ونصفه الآخر الحديث.

- ونختم بأبيات أثنى فيها الإمام الشاطبي على أهل القرآن بصفاتهم الحميدة، وحثَّ على المنافسة فيها؛ فقال رحمه الله:

أولئك أهل الله والصفوة الملا
أولو البر والإحسان والصبر والتقى
حلاهم بها جاء القرآن مفصلا
عليك بها ما عشت فيها منافسًا
وبع نفسك الدنيا بأنفاسها العلا

نسأل الله أن يجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته، وأن يُعلِّمنا من القرآن ما جَهلنا، ويرزقنا الصبر على تحمُّله وتعلُّمه وتعليمه؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه.

باب السنة

حال العبد بين خوف المذنبين ورجاء المحسنين

بقلم

د. مرزوق محمد مرزوق

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

روى الإمام البخاري في صحيحه: عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ عَبْدِ اللَّه ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أحدكم مِنْ شِرَاكِ نَعْله، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ».

التخريج:

رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك) ٥/ ٢٣٨٠ رقم ٦١٢٣).

شرح الحديث:

قوله: (الجنة أقرب لأحدكم من شراك نعله): الشراك: هو السير الذي يدخل فيه إصبع الرجل، ويطلق أيضًا على كل سير وقي به القدم.

قال ابن بطال: فيه أن الطاعة موصلة إلى الجنة، وأن المعصية مقربة إلى النار، وأن الطاعة والمعصية قد تكون في أيسر الأشياء.

وقال ابن الجوزي: معنى الحديث أن تحصيل الجنة سهل؛ بتصحيح القصد وفعل الطاعة، والنار كذلك بموافقة الهوى وفعل المعصية.

وقال ابن حجر: «فينبغي للمرء أن لا يزهد في قليل من الخير أن يأتيه ولا في قليل من الشر أن يجتنبه؛ فإنه لا يعلم الحسنة التي يرحمه الله بها ولا السيئة التي يسخط عليه بها. ((ينظر فتح الباري ١١/ ٣٢١ بتصرف يسير، وأفاده العيني في عمدة القاري ٢٣/ ٧٨).

قلت: ويشهد لذلك حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّه لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّه لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ» (رواه البخاري: ٦٤٨٧)، وما قصة المتهم بالنفاق في غزوة تبوك لكلمة قالها عنا ببعيدة؛ إذ روى أئمة الحديث عن

عبد اللهِ بنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عنهما، قال: «قال رجلٌ في غَزوةِ تَبوكَ في مجلسٍ يومًا: ما رأيتُ مِثلَ قُرَّائِنا هؤلاء، لا أرغَبَ بُطونًا، ولا أكذَبَ ألسِنةً، ولا أجبَنَ عند اللِّقاءِ! فقال رجلٌ في المجلِسِ: كذَبْتَ، ولكنَّك مُنافِقٌ، لأُخبِرَنَّ رسولَ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فبلغ ذلك النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، ونزل القرآنُ، قال عبدُ الله: فأنا رأيتُه مُتعلِّقًا بِحَقَبِ ناقةِ رَسولِ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم تَنكُبُه الحِجارةُ»، وهو يقولُ: يا رسولَ الله، إنَّما كنَّا نخوضُ ونلعَبُ، ورسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يقولُ: (أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ). (صحح إسناده الشيخ أحمد شاكر في تحقيق تفسير ابن جرير ٣٣٤/١٤)، وقرائنا يقصد بهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من فقهائهم وقرائهم.

وقال الشنقيطي رحمه الله: نزلت هذه الآية بإطباق المفسرين في غزوة تبوك في قوم استهزأوا بالله وآياته ورسوله» (ينظر العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير ٦١٤/٥)، ثم كان العقاب من الله: « لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ »(التوبة: ٦٦).

وكذلك نقول: وهل يذكر القارئ الكريم أن إبليس لعنه الله نزل من مرتبة العز بسجدة تركها؟ وأن آدم هبط من الجنة بلقمة أكلها، « فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » (النور: ٦٣).

فائدة:

درء التعارض بين حديث أبي هريرة السابق (والذي فيه لا يلقي لها بالاً)، وبين حديث: (إنما الأعمال بالنيات)، إذ (لا عمل إلا بنية)؛ إذ قوله: (لا يُلْقِي لَهَا بَالًا) فكيف يجمع بينهما؟

الجواب:

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح (١١/ ٣١١): «قوله: (لا يلقي لها بالاً) أي: لا يتأملها بخاطره ولا يتفكر في عاقبتها ولا يظن أنها تؤثر شيئًا، وهو من نحو قوله تعالى: (وتحسبونه هينًا وهو عند الله عظيم)، وقال في السخط مثل ذلك». انتهى.

وعليه فإنه لا يعني أنه لم يقصد الكلمة ولم ينوها، وإنما المراد أنه لم يتثبت فيها، ولم يظن أنها تبلغ ما بلغت.

ممَّا يُستفاد من الحديث:

١- براعة البخاري في ترتيب صحيحه، ومن ذلك:

قوله في هذا الباب: (الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله) هذه الترجمة حذفها ابن بطال، وذكر الحديثين اللذين فيها وهما: حديث: «الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله»، وقوله صلى الله عليه وسلم: «أَصْدَقُ بَيْتٍ قالَهُ الشَّاعِرُ ألا كُلُّ شيْءٍ ما خَلا اللَّهَ بَاطِلُ»، ذكر الحديثين في الباب الذي قبلها. (قلت: أي في باب حفت النار بالشهوات)، وفيه حديث أبي هريرة: «حُجبت النار بالشهوات والجنة بالمكاره». والمناسبة ظاهرة، وهي أن الجنة مع أنها حُفَّت بالمكاره والنار حُفَّت بالشهوات إلا أن كل واحدة منهما أقرب للعبد من شراك نعله؛ مَن التزم بما يرضي الله سبحانه، ومَن لم يلتزم؛ لذا وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديث بعده: قالَ « أَصْدَقُ بَيْتٍ قالَهُ الشَّاعِرُ ألا كُلُّ شيْءٍ ما خَلا اللَّهَ بَاطِلُ »؛ فكل شيء لا يؤدي إلى رضا الله باطل مهما كان ظاهره.

هذا، وقد انعقد إجماع الأمة على أن التراجم التي وضعها الإمام البخاري في كتابه تنمُّ عن فَهْم عميق ونظر دقيق في معاني النصوص، حتى اشتهر بين أهل العلم قولهم: «فقه البخاري في تراجمه».

وتناول المؤلف في هذا الكتاب سائر أحكام الشرع؛ العملية والاعتقادية.

وقد أتت مادة كتاب (صحيح البخاري) المسمى: «الجامع الصحيح المختصر من أحوال النبي صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه»، مقسمة على (٩٧) كتابًا بدأها بكتاب بدأ الوحي،

فكتاب الإيمان، فكتاب العلم، ثم دخل في كتب العبادات؛ الوضوء.. إلخ، وختم الكتاب بكتاب التوحيد يسبقه كتاب الاعتصام بالسنة.

وابتداء البخاري رحمه الله جامعه بكتاب بدء الوحي، فكأنه يقول: أبدأ كتابي لكم والذي كله من الوحي الذي أوحي به لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم بكتاب الإيمان، والذي يدعو إليه هذا الوحي، ثم كتاب العلم، ثم تأتي فروع الدين من العلم بهذا الوحي تترى حتى تنتهي بكتاب «الاعتصام بالسنة»، والتي كانت هي الوحي، وهي مصدر جميع ما سبق من شرائع الدين، ثم يختتم بكتاب التوحيد الذي هو ثمرة الوحي كله وغاية الخلق.

وفيما سبق بعض رد على المتجرئين على سنة النبي عامة وعلى البخاري ورواة السنة ونقلتها خاصة؛ ذلك هو البخاري إمام نقلة السنة يا عباد الله.

٢- إن الرسول صلى الله عليه وسلم أوتي جوامع الكلم؛ فالحديث مبناه صغير ومعناه كبير خطير، يذخر بفرائد الفوائد واللطائف والشواهد.

٣- رحمة الله الواسعة، وأن هذا الدين يسر؛ وذلك من إخباره صلى الله عليه وسلم أن الجنة أقرب إلى أحدنا من شراك نعله وأنه قدم ذلك على قوله: «والنار مثل ذلك»؛ فالذي يتأمل الإسلام العظيم يجد السهولة واليسر في كل جوانبه وأحكامه، فعقائده ميسرة، وعباداته سهلة، وأخلاقه رفيعة، كما قال تعالى: (وما جعل عليكم في الدين من حرج) (الحج: ٧٨) وقال تعالى: (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) (البقرة:١٨٥).

٤- وضوح الطريق؛ فالحلال بَيِّن والحرام بَيِّن، والمشتبه علاجه معلوم؛

وبيان ذلك أن الطاعة موصلة إلى الجنَّة، وأن المعصية مقربة إلى النَّار، وأن الطاعة والمعصية قد تكون من أيسر الأشياء، وسلعة الله وإن كانت غالية إلا أنها سهلة ميسورة، بَيَّن رب العزة ثمنها.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى!»، قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى». (البخاري ٦٨٥١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة))؛ الصحيحة (٢٣٣٥).

٥- التواصي بالصبر؛ وبيان ذلك أن هذه الجنة القريبة لا يرجى دخولها إلا بالصبر على الطاعات التي شرع رب الأرض والسموات من طريق خاتم الأنبياء، وكذا بالصبر على اجتناب المحرمات مما نهى عنه رب الأرض والسماوات.

٦- عقيدة الخوف والرجاء جناحان يطير بهما العبد إلى الله، فلا تستقيم دنياه ولا أخراه إلا بهما، وأفضل ما يوعظ العبد به ما يكون ترغيباً وترهيباً، وبيان هذه العقيدة السلفية الصحيحة الناجعة كما في هذا الحديث المبارك.

وللعلماء في ذلك درر؛ منها ما نقله صاحب فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص (١٠٥) يقول: قال ابن كثير رحمه الله تعالى: «لا تتم العبادة إلا بالخوف والرجاء، فبالخوف يَنْكَفُّ عن المناهي، وبالرجاء يُكثر من الطاعات.

وذكر القرطبي رحمه الله قول سهل بن عبد الله، قال: «الخوف والرجاء زمانان على الإنسان، فإذا استويا استقامت أحواله، وإن رجح أحدهما بطل الآخر (انتهى من فتح المجيد بتصرف).

والله تعالى نسأله الستر والقبول،

والحمد لله رب العالمين.

العلم النافع

الحمد لله القائل: «يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۢ» **(المجادلة:١١)، والصلاة والسلام على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، أمره ربه قائلاً:** «وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا» **(طه:١١٤)، فقال عليه الصلاة والسلام: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم». وفي رواية: «كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب». (صحيح الجامع: ٤٠٨٨، ٤٠٨٩).**

وهناك أسباب كثيرة، وطرق تُسلك في تحصيل العلم النافع وحفظه وأهمها:

١ - الإخلاص في طلب العلم والعمل به:

قال الله تعالى: «وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ» **(البينة:٥)، وقال تعالى:** «فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا» **(الكهف:١١٠).**

وقال صلى الله عليه وسلم: «من تعلم علمًا مما يبتغي به وجه الله عز وجل، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضًا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة» أي: ريحها.

واعلم أخي أنه لما كان الإخلاص شرطًا صحيحًا من شروط لا إله إلا الله، بل وكل عمل أو قول أو فعل لزم أن يكون كذلك سببًا من أسباب تحصيل العلم النافع وتبليغه، فالإخلاص والمتابعة شرطان أساسيان في قبول الأعمال.

٢ - أن يسأل العبد ربه العلم النافع:

وذلك بالاستعانة بالله تعالى والافتقار إليه والاجتهاد في طلبه، وأن ينفعه ويزيده منه، وقد ثبت عند الترمذي، وابن ماجه في سننه، وصححه الألباني: أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول: «اللهم انفعني بما علمتني، وعلمني ما ينفعني وزدني علمًا». ولذلك رحل من رحل من الأنبياء والرسل والصحابة والتابعين في طلبه وتحصيله لما له من شرف عالٍ وفضل جزيل.

إعداد **أحمد عز الدين**

٣ - اجتناب المعاصي جميعها بتقوى الله عز وجل.

وذلك من أعظم الوسائل والأسباب إلى حصول العلم، قال الله تعالى: «وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ» **(البقرة:٢٨٢)، وقوله تعالى:** «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا» **(الأنفال:٢٩)، فمن اتقى الله عز وجل جعل له نورًا يفرق به بين الحق والباطل، قال محمد رشيد رضا رحمه الله: «الفرقان في اللغة: هو الصبح الذي يفرق بين الليل والنهار، ويسمى القرآن فرقانًا لأنه كالصبح يفرق بين الحق والباطل، وتقوى الله تعطي صاحبها نورًا يفرق به بين دقائق الشبهات التي لا يعلمهن كثير من الناس. (جامع بيان العلم لابن عبد البر).**

٤ - عدم الكبر والاستحياء عن طلب العلم:

قال الله تعالى: «سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ» **(الأعراف:١٤٦)، وقال تعالى:** «كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ» **(غافر:٣٥).**

وقال تعالى: «فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ» **(الصف:٥).**

وقال مجاهد رحمه الله: لا يتعلم العلم مستح ولا متكبر. (فتح الباري كتاب العلم).

فالاستحياء: يصد عن العلم وفهمه والسؤال عنه. ورضي الله عن أمنا عائشة قالت: «نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين». (فتح الباري).

ولقد جاءت أم سليم رضي الله عنها إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا رسول الله، إن الله لا يستحي من الحق، فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت؟ قال: «إذا رأت الماء». (الفتح، كتاب العلم).

وللحديث بقية إن شاء الله والحمد لله رب العالمين.

درر البحار في بيان ضعيف الأحاديث القصار

القسم الثاني

إعداد/ **علي حشيش**

الحلقة (٧٧)

٧٢١- «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما يغتسل يوم الجمعة، وربما تركه أحيانًا».

الحديث لا يصح: أخرجه الحافظ الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٤٢/١٢) (ح١٢٩٩٩) قال: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، حدثنا محمد بن معاوية النيسابوري، حدثنا أبو المليح عن ميمون بن مهران عن ابن عباس قال: فذكره، وعلته: محمد بن معاوية النيسابوري، قال ابن الجنيد في «سؤالاته» (٦٠٣): «قلت ليحيى بن معين: بلغنا موت محمد بن معاوية النيسابوري فقال: الحمد لله الذي أماته فإنه كان يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم». ونقل الحافظ ابن حجر في «تهذيب التهذيب» (٤١٠/٩) أقوال أئمة الجرح والتعديل فيه: قال ابن أبي خيثمة عن ابن معين: كذاب. وقال مسلم: «متروك الحديث». وقال النسائي: «متروك الحديث، ليس بثقة». وقال الدارقطني: «كذاب يضع الحديث»، وقال أبو طاهر المدني: «كذاب يضع الحديث». اهـ. روى عن أبي المليح الرقي وآخرين، وروى عنه محمد بن عبد الله الحضرمي وآخرون. قاله الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (٦٢٠٧/٢٥٠/١٧)، وهذا ينطبق تمام الانطباق على سند هذا الحديث الذي يتبين مما أوردناه آنفًا: أنه حديث موضوع.

فائدة: ومما يدل على نكارة هذا الحديث ما أخرجه الإمام البخاري بأصح الأسانيد مطلقًا في «صحيحه» (ح٨٧٧) قال: حدثنا عبد الله بن يوسف قال: أخبرنا مالك عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل». والحديث في أعلى مراتب الصحة حيث أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه» (ح٨٤٤).

٧٢٢- «لو كان صاحبك حاضرًا فرضي الذي قلت فمات في ذلك دخل النار».

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (٢٨٢/٣) وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «حديث أن رجلاً أثنى على رجل خيرًا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: لو كان صاحبك حاضرًا». لم أجد له أصلاً. اهـ.

٧٢٣- «من ألف المسجد ألفه الله».

الحديث لا يصح: أخرجه الحافظ الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٩٧/٧) (ح٦٣٧٩) وقال: حدثنا محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا ابن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد مرفوعًا، والحديث غريب حيث قال الطبراني: «لم يرو هذا الحديث عن دراج إلا ابن لهيعة، تفرد به عمرو بن خالد». اهـ.

قلت: وابن لهيعة نقل الإمام الذهبي في «الميزان» (٤٥٣٠/٤٧٥/٢) عن ابن معين، قال: «ضعيف لا يحتج به». وعن يحيى بن سعيد أنه كان لا يراه شيئًا، وقال الجوزجاني: «لا نور على حديثه ولا ينبغي أن يحتج به»،

وأورده الحافظ ابن حجر في «طبقات المدلسين» (المرتبة الخامسة) رقم (١٢) وعنعن ولم يصرح بالسماع فلا يحتج به، وعلة أخرى، دراج أورده الحافظ ابن حجر في «تهذيب التهذيب» (١٨٠/٣)، ونقل عن الإمام أحمد أنه قال: «حديثه منكر»، وعن الدارقطني قال: «متروك». اهـ. وقال أحمد بن حنبل: «أحاديث دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد فيها ضعف». اهـ. وهذا منها.

٧٢٤- «لا ينظر الله إلى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه».

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (١٥٠/١) مرفوعًا بصيغة الجزم، قال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «لم أجده». اهـ.

٧٢٥- «ما من رجل له والدٌ ينظرُ إليه نظر رحمةٍ إلا كُتب له حجة مقبولة مبرورة، قالوا: وإن نظر إليه في اليوم مائة مرة، قال: نعم الله أكثر وأطيب».

الحديث لا يصح، أخرجه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» (ح٢٠٩٨- الغرائب الملتقطة) من حديث نهشل، عن الضحاك، عن ابن عباس مرفوعًا، والحديث مردود بالسقط في الإسناد، والطعن في الراوي، فالحديث منقطع حيث إن الضحاك وهو ابن مزاحم: ذكره الإمام ابن أبي حاتم في «المراسيل» (١٥٢) بسنده عن شعبة قال: قلتُ لمشاش: الضحاك سمع من ابن عباس؟ قال: لا، ولا كلمة. اهـ.

والعلة الأخرى: نهشل وهو ابن سعيد القرشي الخراساني الترمذي ذكره الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (٧٠٧٧/١٦٣/١٩) وقال: روى عن الضحاك بن مزاحم وآخرين، قال أبو داود الطيالسي، وإسحاق بن راهويه: كذَّاب، وقال يحيى بن معين: ليس بشيء، ليس بثقة، وقال النسائي: متروك، ليس بثقة ولا يكتب حديثه». اهـ.

وقال الحافظ ابن حجر في «المجروحين» (٥٢/٣): «كان ممن يروي عن الثقات ما ليس من أحاديثهم، لا يحل كتابة حديثه إلا على جهة التعجب». اهـ.

قلت: نستنتج من أقوال الأئمة أن الحديث موضوع.

٧٢٦- «مَنْ حَفظَ على أُمتي حديثًا واحدًا كان له أجر أحد وسبعين نبيًا صديقًا».

الحديث لا يصح: أخرجه الحافظ الذهبي في «تذكرة الحفاظ» (١٠٥١/١٢٣٧/٤) (١٥/١٩- أبو الفتيان) من طريق محمد بن رازام المروزي، حدثنا محمد بن أيوب الهنائي، حدثنا حميد بن أبي حميد، عن عبد الرحمن بن دلهم عن ابن عباس مرفوعًا، قال الحافظ الذهبي: «هذا مما تحرم روايته إلا مقرونًا بأنه مكذوب من غير تردد، وقبح الله من وضعه، وإسناده مظلم، وفيهم ابن رزام كذَّاب لعله آفته». اهـ.

٧٢٧- «إن أهون الخلق على الله العالم يزور العُمال».

الحديث لا يصح: أخرجه الرافعي في «تاريخ قزوين» (٤٥٠/٣- ٤٥١) عن كتاب «الترهيب عن القراء الفسقة والتحذير عن العلماء السوء» للحافظ الدهستاني- بخطه- من حديث محمد بن إبراهيم الشامي، حدثنا أبو عصام رواد بن الجراح العسقلاني عن بكير الدمغاني عن محمد بن قيس عن أبي هريرة مرفوعًا.

علته محمد بن إبراهيم الشامي، قال الحافظ في «المجروحين» (٣٠١/٢): «يضع الحديث لا تحل الرواية عنه إلا عند الاعتبار». وقال الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٢٧١/٦) (١٧٥٥/١٣٤): «منكر الحديث عامة أحاديثه غير محفوظة». اهـ.

ونقل الحافظ ابن حجر في «التهذيب» (١٣/٩): «أن الدارقطني قال: كذاب، وقال الحاكم والنقاش: روى في أحاديث موضوعة». اهـ.

٧٢٨- «لا يُنْزِلُوهن الغرف، ولا تعلموهن الكتابة، وعلموهن المغزل، وسورة النور».

الحديث لا يصح أخرجه الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٣٠٢/٢) قال: أخبرناه الحسن بن سفيان قال: حدثنا محمد بن إبراهيم الشامي الكذاب، يضع الحديث كما بينا آنفًا، وأخرجه أيضًا الحاكم في «المستدرك» (٣٩٦/٢): من طريق عبد الوهاب بن الضحاك عن شعيب بن إسحاق به، قال الذهبي في «التلخيص»: «موضوع وآفته عبد الوهاب، قال أبو حاتم: كذاب».

فقه المرأة المسلمة

الحلقة الثامنة عشر

باب الصلاة

إعداد د/عزة محمد رشاد (أم تميم)

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد: فقد انتهينا -بفضل الله تعالى- من فقه الطهارة، وما يتعلق به من أحكام تخص المرأة، ونشرع في فقه الصلاة، سائلين الله عز وجل أن ييسر فقه هذا الباب العظيم وسائر أبواب الفقه للمسلمات؛ إنه على كل شيء قدير.

تعريف الصلاة:

الصلاة في اللغة: الدعاء.

قال الله تعالى: (وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ) (التوبة: ١٠٣) أي ادعُ لهم. (مقاييس اللغة ٣٠٠/٣).

شرعًا: التعبد لله تعالى بأقوال وأفعال معلومة، مفتتحة بالتكبير، مختتمة بالتسليم، مع النية، بشرائط مخصوصة. (مواهب الجليل ٣٧٧/١، الشرح الممتع ٥/٢).

ولا شك أن الصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام بعد النطق بالشهادتين، كما في حديث ابن عمر، رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان» (أخرجه: البخاري ٨، ومسلم ١٩).

وهي أيضًا عمود الإسلام؛ قال صلى الله عليه وسلم: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد» (أخرجه: الترمذي ٢٦١٦، والنسائي ١١٣٣٠، والألباني في الإرواء ١٣٨/٢).

وأول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة، بدليل ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر» (أخرجه الترمذي ٤١٣، والنسائي ٣٢٢ وصححه الألباني في المشكاة ١٣٣٠).

الأحكام المتعلقة بفقه المرأة في الصلاة:

أولاً: هل على النساء أذان وإقامة؟

لم يـرد حديث صحيح بمشروعية الأذان والإقامة للنساء، إلا ما روي عن طاووس قال: «كانت عائشة تؤذن وتقيم». أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٩٢٢)، وعبدالرزاق في المصنف (٥٠١٦)، وقد ضعَّف هذا الحديث بعض أهل العلم، ولم يرد نص أيضًا ينهى النساء عن ذلك.

وها هي بعض الآثار التي وردت عن السلف وأقوال أهل العلم في المسألة.

عن وهب بن كيسان قال: «سُئل ابن عمر هل على النساء أذان؟ فغضب وقال: أنهى عن ذكر الله؟!» (مصنف ابن أبي شيبة ٢٢٣/١، قال الألباني في تمام المنة ١٥٣: إسناده جيد).

وعن عطاء قال: «تقيم المرأة لنفسها إذا أرادت أن تصلي» (أخرجه عبد الرزاق في المصنف ١٢٦/٣).

وعن سعيد بن المسيب والحسن قالا: «ليس على النساء أذان ولا إقامة» (أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٩٢٠) وابن أبي شيبة في المصنف (٢٢٢/١) وعبد الرزاق في المصنف (١٢٧/٣).

أقوال أهل العلم في المسألة:

قال ابن حزم في المحلى (١٦٩/٢) مسألة ٣٢٠: «ولا أذان على النساء ولا إقامة، فإن أذَّن وأقمن فحسن؛ برهان ذلك: أن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأذان إنما هو لمن افترض عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة في جماعة بقوله صلى الله عليه وسلم: «فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ»، وليس النساء ممن أمرن بذلك. فإذا هو قد صح، فالأذان ذكر الله تعالى والإقامة كذلك، فهما في وقتهما فعل حسن».

جاء في المدونة (١٨٥/١): «قال مالك: ليس على النساء أذان ولا إقامة قال: وإن أقامت المرأة فحسن».

قال الشافعي في الأم (١٧١/١): «ليس على النساء أذان وإن جمعن الصلاة، وإن أذن فأقمن فلا بأس، ولا تجهر المرأة بصوتها، وتؤذن في نفسها، وتسمع صواحبتها إذا أذنت، وكذلك تقيم إذا أقامت، وكذلك إن تركت الإقامة لم أكره لها من تركها ما أكره للرجال وإن كنت أحب أن تقيم».

قال ابن قدامة في المغني (٣٠١/١): «ليس على النساء أذان ولا إقامة، وكذلك قال ابن عمر، وأنس، وسعيد بن المسيب، والحسن، وابن سيرين، والنخعي، والثوري، ومالك، وأبو ثور، وأصحاب الرأي، ولا أعلم فيه خلافًا، وهل يسن لهن ذلك؟ فقد روي عن أحمد أنه قال: إن فعلن فلا بأس، وإن لم يفعلن فجائز، وقال القاضي: هل يستحب لها الإقامة؟ على روايتين، وعن جابر أنها تقيم، وبه قال عطاء ومجاهد والأوزاعي، وقال الشافعي: إن أذنَّ وأقمنَ فلا بأس».

ثانيًا: ثياب المرأة في الصلاة ووجوب ستر العورة:

ونذكر بعض الآثار عن السلف في ثياب المرأة:

عن نافع عن ابن عمر قال: «إذا صلت المرأة فلتصل في ثيابها كلها الدرع والخمار والملحفة» (أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٦١٧٤، قال الألباني في تمام المنة ١٦٢ إسناده صحيح).

الملحفة: أي: الجلباب.

عن عروة قال: «قالت امرأة لأبي: إني امرأة حبلى وانه يَشُق عليَّ أن أصلي في المنطق أفأصلي في دِرْع وخمار قال: نعم إذا كان الدِّرْع سابغًا - (إسناده صحيح، أخرجه عبد الرزاق في المصنف ١٣٠/٣ ومالك في الموطأ ٤٧٥).

(المنطق: أي: ما يشد به الوسط. والدرع: أي: القميص وهو ما يسمى بالعباءة. وسابغًا: أي: ساترًا.).

عن الحسن قال: «تصلي المرأة في درع وخمار» (أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١٢٨/٣).

ذهب جمهور العلماء إلى وجوب ستر جسد المرأة كله إلا الوجه والكفين، وقال أبو حنيفة وشيخ الإسلام: يجب ستر جسد المرأة كله إلا

الوجه والكفين والقدمين.

وننقل هاهنا بعض أقوال أهل العلم.

قال ابن حزم في المحلى (٢٤١/٢) مسألة ٣٤٩ بتصرف.

والعورة المفترض سترها على الناظرين وفي الصلاة قال: من المرأة جميع جسمها حاشا الوجه والكفين فقط، والحرة والأمة سواء في كل ذلك ولا فرق، ثم ذكر حديث أم عطية المتقدم في الباب ثم قال (ص ٢٤٨): وهذا أمر بلبسهن الجلابيب للصلاة والجلباب في لغة العرب التي خاطبن بها رسول الله صلى الله عليه وسلم هو ما غطى جميع الجسم لا بعضه فصح ما قلنا.

وعن محمد بن أبي بكر عن أمه أنها سألت أم سلمة أم المؤمنين في كم تصلي المرأة؟ قالت: «في الدرع السابغ الذي يواري ظهور قدميها وفي الخمار».

جاء في عون المعبود (٢٤٣/٢): «ذكر حديث أم سلمة أنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم أَتُصَلِّي الْمَرْأَةُ فِي دِرْعٍ، وَخِمَارٍ لَيْسَ عَلَيْهَا إِزَارٌ؟ قَالَ: «إِذَا كَانَ الدِّرْعُ سَابِغًا يُغَطِّي ظُهُورَ قَدَمَيْهَا». ضعفه كثير من أهل العلم وقال الحافظ ابن حجر في التلخيص (٦٦٨/١) الصواب أنه موقوف ا.هـ.

قال وفي الخبر دليل على صحة قول من لم يجز صلاتها إذا انكشف من بدنها شيء، ألا تراه عليه السلام يقول: «إِذَا كَانَ سَابِغًا يُغَطِّي ظُهُورَ قَدَمَيْهَا»، فجعل منه شرط جواز صلاتها لئلا يظهر من أعضائها شيء. انتهى.

قال المنذري: وفي إسناده عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار وفيه مقال، ولم يذكر أحد منهم النبي صلى الله عليه وسلم أي لم يرفع أحد منهم هذا الحديث بل قصروا به أي وقفوه على أم سلمة أي جعلوه قولها لا قول النبي صلى الله عليه وسلم.

جاء في شرح الموطأ للزرقاني (٣٥٢/١): «قال ابن المنذر: بعد أن حكى عن الجمهور أن الواجب على المرأة أن تصلي في درع وخمار، المراد بذلك تغطية بدنها ورأسها فلو كان الثوب واسعًا فغطت رأسها بفضله جاز، قال: وما رويناه عن عطاء أنه قال: «تصلي في درع وخمار وإزار» وعن ابن سيرين مثله، وزاد وملحفة، فإني أظنه محمولاً على الاستحباب».

جاء في مجموع الفتاوى لابن تيمية (١١٤/٢٢؛ ١١٥) بتصرف: «الوجه واليدان والقدمان ليس لها أن تبدي ذلك للأجانب على أصح القولين، بخلاف ما قال قبيل النسخ بل لا تبدي إلا الثياب، وأما ستر ذلك في الصلاة فلا يجب باتفاق المسلمين، بل يجوز لها إبداء ذلك في الصلاة عند جمهور العلماء كأبي حنيفة، والشافعي، وغيرهما، وهو إحدى الروايتين عن أحمد. فكذلك القدم يجوز إبداؤه عند أبي حنيفة، وهو الأقوى.

وبالجملة قد ثبت بالنص والإجماع أنه ليس عليها في الصلاة أن تلبس الجلباب الذي يسترها إذا كانت في بيتها وإنما ذلك إذا خرجت، وحينئذ فتصلي في بيتها وإن رُئِيَ وجهها ويداها وقدماها».

قال الصنعاني في سبل السلام (١٩٨/١): «ويباح كشف وجه المرأة؛ حيث لم يأت دليل بتغطيته، والمراد كشفه عند صلاتها بحيث لا يراها أجنبي، فهذه عورتها في الصلاة، وأما عورتها بالنظر إلى نظر الأجنبي إليها فكلها عورة».

قال الشافعي في الأم (١٨١/١): «وعلى المرأة أن تغطي في الصلاة كل بدنها ما عدا كفها ووجهها».

تعقيب وترجيح:

أرى- والله تعالى أعلم- أن الصواب ما ذهب إليه جماهير العلماء منهم: الشافعي، ومالك، وابن حزم، وغيرهم من وجوب تغطية المرأة بدنها، ورأسها، وسائر جسدها بثوب واسع، ويستثنى الوجه والكفان لما تقدم من أدلة على ذلك، والله تعالى أعلم.

حقيقة الدنيا

حقيقة الدنيا

حقيقة الدنيا وتقلُّب أحوالها

الحمد لله العزيز الغفار، يكوِّر الليلَ على النهار، ويكوِّر النهارَ على الليل، وكل شيء عنده بمقدار، أحمد ربي وأشكره على نِعَمِه وفضله، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، الواحد القهَّار، وأشهد أن نبينا وسيدنا محمدا عبده ورسوله المصطفي المختار، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه الأخيار.

أما بعد: فاتقوا الله-تعالى- وأطيعوه؛ فإن طاعته أقوم وأقوى، وتزودوا لآخرتكم فإن خير الزاد التقوى.

إعداد: د: علي عبد الرحمن الحذيفي
خطيب المسجد النبوي الشريف

من وثق بالدنيا مغرور

عباد الله: تفكروا في مدة الدنيا القصيرة، وزينتها الحقيرة، وتقلُّب أحوالها الكبيرة، تدركوا قدرها، وتعلموا سرها، فمن وثق بها فهو مغرور، ومن ركن إليها فهو مثبور؛ فقِصَرُ مدةِ الدنيا بقِصَرِ عُمرِ الإنسان فيها، وعمر الفرد يبدأ بساعات، ويتبع الساعات أيام، وبعد الأيام الشهور، وبعد الشهور العام، وبعد العام أعوام، ثم ينقضي عمر الإنسان على التمام، ولا يدري ماذا يجري بعد موته من الأمور العظام، وهل عمر مَنْ بعدك أيها الإنسان عمر لكَ؟ فعمر المخلوق لحظة في عمر الأجيال، بل الدنيا متاع، ومعنى المتاع: ما يلتذ به ويتمتع به في وقته، ثم ينتهي في ذلك الوقت، قال الله-تعالى-: (إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ) (غَافر: ٣٩)، وقال تعالى: (وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ السَّمَآءِ فَاخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَٰحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا) (الْكَهْف: ٤٥)، وقال سبحانه: (أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ) (الشُّعَرَاءِ: ٢٠٥-٢٠٧).

وأخبرنا ربُّنا-جل وعلا- عن قِصَر لُبْثِ

الناسِ في قبورهم إلى بعثهم للحساب؛ بأن هذه المدة الطويلة كساعة، قال الله-تعالى-: (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ) (يُونُس: ٤٥)، وقال تعالى: (فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَٰغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ) (الأَحْقَاف: ٣٥)، وقال تعالى: (وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ) (الرُّوم: ٥٥)، فما عمرك- أيها الإنسان- في هذه الساعة التي أخبرنا الله-تعالى- عنها أنها كمدة الدنيا عند قيام الساعة، فهذه الساعة التي هي كمدة الدنيا كقطرة من محيط الزمن السرمدي الأبدي، فطوبى لمن عمل في عمره القصير الصالحات، وهجر المحرمات، وحذر اتباع الهوى وطُرُق الغي والضلالات، ففاز في حياته بالخيرات، وفاز بعد موته برضوان الله في نعيم الجنات، وويل لمن اتبع الشهوات، وأضاع الصلوات والواجبات، واقترف الموبقات فسقط في طبقات جهنم فصار طعامه الزقوم، وشرابه الصديد والحميم.

أفيقوا أيها العاصون المذنبون

يا من أطغته صحته فعصى، يا من أفسده فراغه فلها، يا من فتنه ماله فتردى، ويا من اتبع هواه فسقط وهوى، يا من غرَّه شبابُه فنسي البلَى، يا من استعان بنعم الله عليه فتمرد وطغى، ألم تعلم بأن الله لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وأنه شديد العقاب؟

، أما توقن بالموت وما بعده من الحساب؟!

يا من جرَّأه على ربه فسحة الأجل، وبلوغ الأمل حتى اختطفه الموت فأنى له أن يرجع إلى الدنيا ليصلح العمل؟!

أما آن لك-أيها الغافل- المُعرض العاصي أن تتوب إلى ربك وتُنيب؟! أما آن لكَ أن تستيقظ من هذه الغفلة المطبقة وتستجيب؟!

ألا تعتبر بالقرون القوية الخالية، ومساكنهم الخاوية بعد غرسهم أنواع الأشجار، وإجرائهم الأنهار وبنائهم الأمصار؟! كيف صاروا بعد عين أثرا، وبعد عز خبرا؟! وكيف نُقلوا من القصور إلى القبور فأصبحوا مرتَهنين بالأعمال، فأصحاب الحسنات هم الفائزون، وأصحاب السيئات هم الخاسرون النادمون، وهل للموت من رادّ؟! وهل غير القرآن من هاد؟! إن في إقبال يوم وعام، وإدبار يوم وعام لَعِبَرًا، فيوم تخلفه لا يعود، ويوم تستقبله حتى ينتهي الأجل، وينقطع الأمل، قال الله-تعالى-: (وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ (٤١) وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ) (النَّجْم: ٣٩-٤٢).

فاعمل لدار الخلد التي لا يفنى نعيمها ولا ينقص، بل هو بمزيد، لا يعتري شباب أهلها الهرم، ولا يخافون السقم، قال الله-تعالى- فيها: (ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ (٣٤) لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ) (ق: ٣٤-٣٥)، وقال تعالى: (ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ (٧٠) يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٧١) وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٧٢) لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ) (الزُّخْرُف: ٧٠-٧٣).

واتقوا النار التي لا يفتر عن أهلها العذاب بامتثال أمر الله الأكيد، واتقاء غضبه الشديد، قال الله-تعالى-: (فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ (١٩) يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ (٢٠) وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ (٢١) كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ) (الْحَجّ: ١٩-٢٢).

فاعملوا-عباد الله- لهذه الجنة العالية، واحذروا الذنوبَ التي تُلقي بصاحبها في النار الهاوية، واعلموا أنه ليس بين الإنسان وبين الجنة أو النار إلا الموت، عن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النبي-صلى الله عليه وسلم- قال: «ما ينتظر أحدكم إلى غنىً مطغياً، أو فقراً مُنْسياً، أو مرضاً مُفْنِداً، أو

موتاً مُجْهِزاً، أو الدجال، فالدجال شر غائب يُنتظر، أو الساعة، فالساعة أدهى وأمر» (مسند أبي يعلى ح ٦٥٤٢ وقال محققه: إسناد رجاله ثقات) وفي الحديث: "أكثروا ذِكْر هادمِ اللذات: الموت، فإنه ما ذكر في كثير إلا قلله، ولا في قليل إلا كثَّره"، وقال صلى الله عليه وسلم: "كفى بالموت واعظا".

فاستودِعْ-أيها المسلم- أيامَكَ بما تقدر عليه من الحسنات، واحفظ صحيفتك من السيئات، قال الله-تعالى-: (وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ) (الْبَقَرَة: ٢٢٣)، وقال تعالى: (وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ) (المُزَّمِّل: ٢٠).

وجوب اغتنام أيام العافية

عباد الله: إن الله قد فتح لكم أبواب الرحمة؛ بما شرع لكم من فعل الخيرات وترك المنكرات، فلا يغلق أحد على نفسه باب الرحمة بمحاربة الله-تعالى- بالذنوب والمعاصي، فقد قال تعالى: (وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ) (الأَعْرَاف: ١٥٦).

واغتنم-أيها العبد- زمن العافية، فعن ابن عباس-رضي الله تعالى عنهما- قال: "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ" (رواه البخاري)، وعن ابن عمر-رضي الله تعالى عنهما- قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: "كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل".

وكان ابن عمر-رضي الله تعالى عنهما- يقول: "إذا أمسيتَ فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحتَ فلا تنتظر المساء، وخُذْ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك" (رواه البخاري ومسلم).

أيها المسلمون: قال الله-تعالى-: (إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا) (الأَحْزَاب: ٥٦)، وقد قال صلى الله عليه وسلم: "مَن صلى عليَّ صلاةً واحدةً صلى الله عليه بها عشرا"، فصلوا وسلموا على سيد الأولين والآخرين وإمام المرسلين، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وسلم تسليما كثيرا، اللهم وارضَ عن الصحابة أجمعين، اللهم وارض عن الخلفاء الراشدين المهديين؛ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن سائر أصحاب نبيك أجمعين، وعن التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بمنك وكرمك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الكفر والكافرين، والشرك والمشركين.

اللهم إنا نسألك اليقين والإيمان الذي ترضى به عنا يا ذا الجلال والإكرام وأن تثبتنا على ذلك حتى تتوفانا وأنت راضٍ عنا يا ذا الجلال والإكرام، اللهم أرنا الحقَ حقًا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه، ولا تجعله ملتبسًا علينا، اللهم إنا نعوذ بك أن نرتد على أعقابنا، اللهم يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلوبنا على طاعتك يا أكرم الأكرمين.

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى يا ذا الجلال والإكرام، اللهم اغفر لموتانا وموتى المسلمين، اللهم اغفر لموتانا وموتى المسلمين، اللهم اغفر لموتانا وموتى المسلمين، برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات يا أرحم الراحمين.

نعمة الصحة والعافية

إعداد **عبده أحمد الأقرع**

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، وبعد:

فإن من أجلِّ النعم نعمة عظمى، ومنَّة كبرى، بعد نعمة الإيمان والإسلام، يغفل عنها كثيرٌ من الناس، ويُقصِّرُ في شكرها خلق كثير وجمّ غفير، تلكم هي نعمة الصحة التي لا يُحس بها إلا مَن فقدها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة، والفراغ». (صحيح: الجامع ٦٧٧٨).

وقال صلى الله عليه وسلم: «من أصبح منكم آمنًا في سربه، مُعافًى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها». (صحيح الجامع: ٦٠٤٢).

والصحة خيرٌ من الغنى، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا بأس بالغنى لمن اتقى، والصحة لمن اتقى خيرٌ من الغنى، وطيبُ النفس من النعيم». (صحيح الجامع: ٧١٨٢).

لذا كانت الصحة أول ما يُسأل عنه العبد يوم القيامة من النعم، قال صلى الله عليه وسلم: «إن أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة من النعيم أن يقال له: ألم نُصِحّ لك جسمك، ونُرَوِّيك من الماء البارد؟» (صحيح الجامع: ٢٠٢٢).

فالصحة مغنم ، وقد حثّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على استثمارها واغتنامها بالعمل الصالح، قبل أن تحل بالإنسان العوائق، قال صلى الله عليه وسلم: «اغتنم خمسًا قبل خمس». وذكر منها: «وصحتك قبل سقمك». (الحاكم في المستدرك ٤/٣٤١).

فيا أيها الأصحاء: احمدوا الله تعالى واشكروه على نعمة الصحة والعافية، والبدار البدار إلى استثمار صحتكم في مرضاة الله، قبل الفوات، وقديمًا قيل: «الصحة تاج على رؤوس الأصحاء، لا يراه إلا المرضى».

ويا من ابتليتم بالمرض: احمدوا الله على كل حال، قال صلى الله عليه وسلم: «عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له». (مسلم: ٢٩٩٩).

يُبتلَى المؤمن ليُهَذَّب لا ليُعَذَّب، والمكروه قد يأتي بالمحبوب، والمرغوب قد يأتي بالمكروه، قال الله تعالى: «وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ » (البقرة:٢١٦).

قال ابن الجوزي: «من أراد أن تدوم له السلامة والعافية من غير بلاء، فما عرف التكليف ولا أدرك التسليم».

سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الناس أشد بلاء؟ قال: «الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يُبْتَلَى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صُلبًا اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رِقَّة ابتلاه الله على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يمشي على الأرض وما عليه خطيئة». (صحيح

الترغيب: ٣٤٠٢).

وها هو سيد البشر صلوات الله وسلامه عليه:

عن أبي سعيد رضي الله عنه: أنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو موعوك عليه قطيفة، فوضع يده فوق القطيفة، فقال: ما أشد حُماك يا رسول الله، قال: «إنا كذلك يُشدّ علينا البلاءُ ويُضاعف لنا الأجر». ثم قال: يا رسول الله، من أشد الناس بلاءً؟ قال: «الأنبياء». قال: ثم من؟ قال: «العلماء». قال: ثم من؟ قال: «الصالحون.. ولأحدهم كان أشد فرحًا بالبلاء من أحدكم بالعطاء». (صحيح الترغيب ٣٤٠٣).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوعك، فقلتُ: يا رسول الله إنك توعك وعكًا شديدًا، قال: «أجل إني أوعك كما يُوعَك رجلان منكم». قلتُ: ذلك أن لك أجرين؟ قال: «أجل ذلك كذلك، ما من مسلم يصيبه أذى، شوكة فما فوقها، إلا كفر الله به سيئاته، وحطت عنه ذنوبه كما تحط الشجرة ورقها». (متفق عليه).

فيا أخي المريض: اصبر- عافاك الله- فإن كتمان المصائب والأوجاع من شِيَم النبلاء، فصابر هجير البلاء فما أسرع زواله، وغاية الأمر صبر أيام قلائل، والصابرون مجزيون بخير الثواب، قال الله تعالى: «وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» (النحل:٩٦)، وأجورهم مضاعفة، قال الله تعالى: «أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا» (القصص:٥٤)، بل وبغير حساب، قال الله تعالى: «إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ» (الزمر:١٠)، والجنة دارهم ومستقرهم.

عن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس رضي الله عنهما: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلتُ: بلى. قال: هذه المرأة السوداء، أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: إني أصرع، وإني أتكشف فادع الله لي، قال: «إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك». فقالت: أصبرُ. فقالت: إني أتكشف، فادع الله لي ألا أتكشف. فدعا لها. متفق عليه.

وربما كان الصبر على المرض يبلغ صاحبه أعلى المنازل في الجنة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الرجل ليكون له عند الله المنزلة فما يبلغها بعملٍ، فما يزال يبتليه بما يكره حتى يُبَلِّغه إياها». (صحيح الترغيب: ٣٤٠٨).

فاصبر أخي المريض واحتسب واحذر التشكي إلى الناس، رأى بعض السلف رجلاً يشكو إلى رجل فاقته وضرورته، فقال: يا هذا، والله ما زدت أن شكوت مَن يرحمك إلى مَن لا يرحمك!، والعارف إنما يشكو إلى الله وحده.

قال الله تعالى حكاية عن نبيه أيوب عليه السلام: «وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ» (الأنبياء: ٨٣-٨٤).

علق عليه السلام قلبه بالذي بيده كشف الضر وحده، فقد قال الله تعالى: «وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (الأنعام:١٧)، وأما الشكوى للناس فلا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا مرض العبد بعث الله إليه ملكين، فقال: انظروا ما يقول لعواده، فإن هو إذا جاؤوه حمد الله وأثنى عليه رفعا ذلك إلى الله عز وجل وهو أعلم، فيقول: لعبدي عليَّ إن توفيته أن أدخله الجنة، وإن شفيته أن أبدله لحمًا خيرًا من لحمه ودمًا خيرًا من دمه وأن أكفر عنه سيئاته». (صحيح الترغيب: ٣٤٣١).

واعلم أخي المريض-عافك الله- أن المرض دليل المحبة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن عظَم الجزاء مع عِظَم البلاء، وإن الله تعالى إذا أَحبَّ قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضى، ومن سخط فله السخط». (صحيح الجامع: ٢١١٠).

ومع الصبر والرضى أن تأخذ بأسباب الشفاء بإذن الله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تدووا، فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له دواء، غير داء واحد، الهرم». (صحيح سنن أبي داود: ٤٦١/٢).

وقال صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى لم يُنزل داءً إلا أنزل له دواء، علمه من علمه، وجهله من جهله إلا السام، وهو الموت». (صحيح الجامع: ١٨٠٩).

وهكذا يقوّي النبي صلى الله عليه وسلم الأمل في نفس المريض، ويفتح له باب الرجاء في الشفاء بإذن الله، فالله تعالى هو الشافي ولذلك قال

الخليل إبراهيم عليه السلام: «وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ » (الشعراء:٨٠)، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتى مريضًا أو أوتي به إليه، قال عليه الصلاة والسلام: «أذهب الباس رب الناس، اشف وأنت الشافي، لا شفاء إلا شفاءك، شفاءً لا يغادر سقمًا». متفق عليه.

فالشافي هو الله سبحانه والأخذ بالأسباب سبب، ومن أسباب الشفاء- بإذن الله تعالى-:

أسباب الشفاء:

أولاً: القرآن الكريم: قال الله تعالى: « وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ » (الإسراء:٨٢)، وقال تعالى عن القرآن: «قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ » (فصلت:٤٤)، قال ابن القيم رحمه الله: «فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء يعني: الأمراض». اهـ.

قلتُ: ولا سيما فاتحة الكتاب أم القرآن، فإنها كافيةٌ شافيةٌ، قال ابن القيم رحمه الله: «فانطلق فجعل يتفل ويقرأ: «الحمد لله رب العالمين»، حتى لكأنما نشط من عقال، فانطلق يمشي ما به قَلَبَة» (أي: ألم وعلة).

قال: «فقد أثر هذا الدواء في هذا الداء وأزاله، حتى كأنه لم يكن، وهو أسهل دواء وأيسره، ولو أحسن العبد التداوي بالفاتحة لرأى لها تأثيرًا عجيبًا في الشفاء، ومكثت بمكة مدة يعتريني أدواءٌ ولا أجد طبيبًا ولا دواء، فكنت أعالج نفسي بالفاتحة، فأرى لها تأثيرًا عجيبًا، فكنت أصفُ ذلك لمن يشتكي ألمًا، فكان كثيرًا منهم يبرأ سريعًا». (الجواب الكافي ص٥).

وكذلك المعوذات: «قل هو الله أحد»، و«قل أعوذ برب الفلق»، و«قل أعوذ برب الناس»، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث. متفق عليه.

ثانيًا: العسل: قال الله تعالى عن العسل: «شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ » (النحل:٦٩)، وقال صلى الله عليه وسلم: «الشفاء في ثلاثة: في شرط محجم، أو شربة عسل، أو كيَّة بنار، وأنهى أمتي عن الكي». (البخاري: ١٠/١٣٧).

ثالثًا: الحجامة: قال صلى الله عليه وسلم: «إنْ كان في شيء مما تداويتم به خيرٌ فالحجامة». (فتح الباري: ٥٧٠٢).

وعن سلمى خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما كان أحد يشتكي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعًا في رأسه إلا قال: «احتجم». ولا وجعًا في رجليه إلا قال: «اخضبهما». (صحيح سنن أبي داود: ٣٨٥٨).

وقال صلى الله عليه وسلم: «من احتجم لسبع عشرة وتسع عشرة، أو إحدى وعشرين، كان شفاء من كل داء». (صحيح سنن أبي داود: ٣٨٦١).

رابعًا: الحبة السوداء: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن هذه الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام». يعني: الموت. البخاري (١٠/١٤٣).

خامسًا: القسط الهندي، (العود الهندي): قال صلى الله عليه وسلم: «عليكم بهذا العود الهندي، فإن فيه سبعة أشفية». (فتح الباري: ٥٦٩٢).

سادسًا: ألبان البقر: قال صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى لم يضع داء إلا وضع له شفاء، فعليكم بألبان البقر، فإنها ترم من كل الشجر». (صحيح الجامع: ١٨٠٨).

سابعًا: ماء زمزم: قال صلى الله عليه وسلم: «خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم فيه طعام من الطعم، وشفاء من السقم». (صحيح الجامع ٣٣٢٢).

ثامنًا: الماء: قال صلى الله عليه وسلم: «الحمى من فيح جهنم فأطفئوها بالماء». (البخاري: ١٠/١٧٤).

تاسعًا: العجوة: والعجوة ضرب من أجود تمر المدينة النبوية، قال صلى الله عليه وسلم: «في العجوة العالية شفاء». (مسلم: ٢٠٤٨).

عاشرًا: التلبينة: قال صلى الله عليه وسلم: «إن التلبينة تُجِمّ فؤاد المريض، وتذهب ببعض الحزن». (فتح الباري: ٥٤١٧).

ولا تنسى الصدقة، قال صلى الله عليه وسلم: «داووا مرضاكم بالصدقة». (صحيح الجامع: ٣٣٥٨).

وأخيرًا: شفاك الله وعفاك- أخي- وأبشرك بأن ثواب عملك الصالح الذي كنت تؤديه في حال صحتك لا ينقطع، قال صلى الله عليه وسلم: «إذا مرض العبد أو سافر كُتِبَ له مثل ما كان يعمل مقيمًا صحيحًا». (صحيح الترغيب: ٣٤٢٠).

فاللهم اشفِ مرضى المسلمين، آمين.

باب الفقه

أحكام الصلاة

ما يُقالُ عَقبَ الصلاة

الحلقة الرابعة

التسبيح بالمسبحة بين الجواز والكراهة

إعداد د. حمدي طه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

فقد انتهينا في الحلقة السابقة من الحديث عما يقال عَقبَ الصلاة ونكمل في هذه الحلقة بمسألتين نختم بهما الحديث وهما كيفية التسبيح على اليد، وحكم التسبيح بالمسبحة.

أولاً: كيفية التسبيح على اليد:

المستحب في التسبيح والأذكار العدُّ بالأصابع والأنامل؛ لأنهن مسؤولات يوم القيامة، ويشهدن لصاحبهن بالذكر، والأصل في ذلك ما ثبت عن يسيرة بنت ياسر رضيَ الله عنها وكانت من المهاجرات قالت: إنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم أمرهنَّ أن يُراعينَ بالتكبير والتقديس والتهليل، وأن يَعْقدْنَ بالأنامل فإنهَنَّ مسؤولاتٌ مستنطَقاتٌ» (رواه أبو داود وأحمد وقال الشيخ الألباني: حسن).

وفي رواية في سنن الترمذي قالت: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عليكن بالتسبيح والتهليل والتكبير، واعقدن بالأنامل فإنهن يأتين يوم القيامة مسؤولات مستنطقات، ولا تغفلن فتنسَين الرحمة». قال الحافظ ابن حجر: ومعنى العقد المذكور في الحديث إحصاء العدد، وهو اصطلاح للعرب بوضع بعض الأنامل على بعض عقد الأنملة الأخرى. (نتائج الأفكار ١/٨٤، ٨٥).

ولفظ: «الأَنامل» وهي رؤوس الأَصابع التي بها «الظُّفْرَ» يَعُمُّ الأَصابِع من بابِ إطلاق البعض وإرادة الكل، فإن هذا أيضًا يعمِ أَصابَع اليدين، فَهُو علَى عمومه (انظر: شرح الأذكار لابن علان ١/ ٢٥٠).

ولو فرض أَن ثمة احتمال ولا احتمال؛ فعند الأصوليين أن «ترك الاستفصال في مقام الاحتمال ينزل منزلة العموم من المقال». (نيل الأوطار الشوكاني ٣/١١٣).

وقد سئل الشيخ محمد بن عثيمين: هل يعد الإنسان التسبيح بالأنامل أو بالأصابع؟ فأجاب عن ذلك التسبيح بالأنامل أو بالأصابع واسع، إن شاء عقد بالأنامل، وإن شاء عقد بالأصابع. (مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ١٣/٢٤٢).

قلت: ويؤيد ذلك ما روي عن عبد الله بن عمرو قال: «رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يعقد التسبيح»(رواه الترمذي والنَّسائي في الكبرى) ورواه ابن أبي شيبة بلفظ: «رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعقده بيده، يعني التسبيح». ورواه أبو داود، ولكنه قال «بيمينه» بدل بيده. قال الشيخ الألباني عن رواية أبي داود: صحيح،

وقال غيره: إن زيادة بيمينه زيادة شاذة. (انظر لا جديد في أحكام الصلاة لبكر أبو زيد ١/ ٢٦).

ثانيًا: حكم التسبيح بالمسبحة:

لم يكن للحديث عن السبحة كثير اهتمام من العلماء في العصر الأول حتى أخذت في الانتشار بين أصحاب الطرق الصوفية والروافض حتى أفرِدَت بالتأليف، وبلغت نحو اثني عشر كتابًا، لَعلَّ أولها للسيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ رحمه الله تعالى باسم: «المنحة في السُّبْحة» التي استلها منه تلميذه ابن طولون باسم: (الملحة فيما ورد في أصل السبحة)، ولعل أوسع من تناولها بالبحث من المعاصرين فضيلة الدكتور بكر أبو زيد في رسالته الماتعة «السُّبْحةُ تاريخُها وَحُكْمُهَا» والذي ينبغي التنبيه عليه أن أكثَر من تكلم في حكم السبحة إنما أخذ الحكم فيها قياسًا على النوى والحصى؛ لأنه هو الذي جاءت به النصوص المرفوعة والموقوفة كما سيأتي بيانه.

والتسبيح بالحصى أو النوى اختلف فيه أهل العلم تبعًا لما ورد فيها من روايات مرفوعة أو موقوفة، فمن قال بالجواز اعتمد على صحة هذه المرويات عنده، وأخذ بدلالته على المطلوب، ومن قال بعدم الجواز اعتمد على تضعيف هذه المرويات أو عدم الأخذ بدلالتها، وكذا على ما صح عنده من القول بخلاف هذا. وإليك بيان ذلك:

الرأي الأول: اعلم أن القول بالجواز هو قول جماهير أهل العلم من علماء المذاهب الأربعة وغيرهم سلفًا وخلفًا، حتى قال المناوي في شرح حديث يسيرة رضي الله عنها: "وهذا أصل في ندب السبحة المعروفة، وكان ذلك معروفًا بين الصحابة. إلى أن قال: ولم ينقل عن أحد من السلف ولا الخلف كراهتها". (فيض القدير ٤/ ٣٥٥).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وعد التسبيح بالأصابع سنة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم للنساء: "سبحن، واعقدن بالأصابع؛ فإنهن مسئولات مستنطقات".

وأما عدُّه بالنوى والحصى، ونحو ذلك فحسن، وكان من الصحابة رضي الله عنهم من يفعل ذلك. وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم للنساء أم المؤمنين تسبح بالحصى، وأقرها على ذلك. وروي أن أبا هريرة كان يسبِّح به. مجموع الفتاوى (٢٢/ ٥٠٦).

الرأي الثاني، وهو يروى عن بعض الصحابة كعمر وعائشة وابن مسعود، وقال به بعض أهل العلم.

أدلة من قال بالجواز:

١- حديث صفية بنت حيي زوج النبي صلى الله عليه وسلم: عن صفية رضي الله عنها قالت: "دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يدي أربعة آلاف نواةٍ أُسَبِّح بهن، فقال: يا بنت حيي، ما هذا؟ قلت: أسبح بهن. قال: قد سَبَّحْتُ مُنْذُ قُمْتُ على رأسكِ أكثر من هذا، قلت: علمني يا رسول الله، قال: قُولي: سبحان الله عدد ما خلق الله من شيء" رواه الترمذي ٣٥٥٤، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلاَّ من هذا الوجه من حديث هاشم بن سعيد الكوفي، وليس إسناده بمعروف، وفي الباب عن ابن عباس انتهى.

والحديث اختلف فيه تصحيحًا وتضعيفًا؛ قال الحافظ ابن حجر: هذا حديث حسن، وقد رواه الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي: (١/ ٥٤٧). قال الشيخ الألباني: "وهذا منه عجب، فإن هاشم بن سعيد هذا أورده هو في "الميزان"، وقال: قال ابن معين: ليس بشيء، وقال ابن عدي: مقدار ما يرويه لا يتابع عليه، ولهذا قال الحافظ في "التقريب": ضعيف (سلسلة الأحاديث الضعيفة ١/ ١٩٠).

ووجه الدلالة كما قال القاري: هذا الحديث أصل صحيح لتجويز السبحة، بتقريره صلى الله عليه وسلم فإنه في معناها؛ إذ لا فرق بين المنظومة والمنثورة فيما يعد به. (تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي ١٨/ ١٩).

وأجيب عن الاستدلال بأن قول النبي صلى الله عليه وسلم لها لما رآها تعد التسبيح بالنوى: «ما هذا؟» وهذا استنكار لفعلها، كأنه على غير المعهود في التشريع، فهو إنكار له، ولذا دَلَّها صلى الله عليه وسلم على التسبيح المشروع، كدلالته صلى الله عليه وسلم للمستغفرين على سيد الاستغفار. فلا دلالة فيه لمستدل على جواز التسبيح بالحصى، أو النوى. (انظر السُّبْحةُ تارِيخُها وَحُكْمُهَا للدكتور بكر أبو زيد ص٨).

الحديث الثاني: حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

أنه دخل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على امرأة وبين يديها نواة، أو قال: حصاة تسبح بها، فقال: ألا أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا وأفضل؟ سبحان الله عدد ما خلق في السماء. وسبحان الله عدد ما خلق في الأرض. وسبحان الله عدد ما بين ذلك. وسبحان الله عدد ما هو خالق، والله أكبر مثل ذلك، والحمد لله مثل ذلك ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك" (رواه أبو داود ٤/ ٣٦٦، والترمذي ٣٥٦٨، وقال: هذا حديث حسن غريب، جميعهم بأسانيدهم إلى ابن وهب، عن عمرو بن الحارث، عن سعيد بن أبي هلال، عن خزيمة، عن عائشة بنت سعد بن أبي وقاص، عن أبيها رضي الله عنه).

فمدار أسانيده على سعيد بن أبي هلال، وقال الحافظ ابن حجر: حديث حسن. رجاله رجال الصحيح إلا خزيمة فلا يعرف نسبه، ولا حاله، ولا روى عنه إلا سعيد، وقد ذكره ابن حبان في الثقات كعادته فيمن لم يجرح، ولم يأت بمنكر نتائج الأفكار (١/٧٧، ٧٨). هذا الحديث حَسَّنَ إسنادَه جماعةٌ، وصَحَّحَ إسنادَه جماعةٌ كما ترى، وإذا نظر إلى إسناده عند من حسنه نجد أن سعيد بن أبي هلال رواه عن خزيمة عن عائشة، وخزيمة هذا ذكره ابن حبان في الثقات (١٥) ولم يجرحه أحد.

وإذا نظر إلى إسناده عند من صححه نجد أن سعيدًا رواه عن عائشة مباشرة. وروايةُ سعيد عن عائشة بنت سعد ممكنة، وذلك أن كلاً منهما مدني، وقد أدرك سعيد من حياة عائشة سبعًا وأربعين سنة. والحديث صححه ابن حبان والحاكم والذهبي. قال الشيخ الألباني: قال الحاكم: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي فأخطأ؛ لأن خزيمة هذا مجهول، قال الذهبي نفسه في "الميزان": خزيمة، لا يعرف، تفرد عنه سعيد بن أبي هلال، وكذا قال الحافظ في "التقريب": إنه لا يعرف. (سلسلة الأحاديث الضعيفة ١/١٨٨).

وجه الدلالة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينهها عن ذلك، وإنّما أرشدها إلى ما هو أيسر وأفضل، ولو كان مكروهًا لبيّن لها ذلك، قال أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي في شرح حديث سعد: وهذا أصل صحيح لتجويز السبحة بتقريره، يعني التسبيح بالحصى والنوى فإنه في معناها؛ إذ لا فرق بين المنظومة والمنثورة فيما يعد به، ولا يعتد بقول من عدها بدعة. اهـ عون المعبود (٤/٢٥٧). بتصرف يسير.

وقال الشوكاني في شرح حديث سعد بن أبي وقاص وصفية أم المؤمنين رضي الله عنهما: والحديثان يدلان على جواز عد التسبيح بالنوى والحصى، وكذا بالسبحة لعدم الفارق لتقريره صلى الله عليه وسلم للمرأتين على ذلك، وعدم إنكاره، والإرشاد إلى ما هو الأفضل لا ينافي الجواز، وقد وردت بذلك آثار. (نيل الأوطار ٢/٣٥٣).

وأجيب بأن هذا أسلوب عربي معروف تأتي فيه صيغة أفعل على غير بابها، كما في قول الله تعالى عن نعيم أهل الجنة: (أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا) (الفرقان: ٢٤). «فإنه من باب استعمال أفعل التفضيل فيما ليس في الطرف الآخر منه شيء؛ لأنه لا خير في مقيل أهل النار، ومستقرهم، كقوله: (آَللّه خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ)، انظر (السُّبْحةُ تارِيخُها وَحُكْمُهَا للدكتور بَكر أبو زيد ص٨).

وهي عن ستة من الصحابة، وهم: علي بن أبي طالب وأبو هريرة، وأبو الدرداء، وسعد بن أبي وقاص، وأبو سعيد الخدري، وأبو صفية رضي الله عنهم. ونقل الطّحطاويّ عن ابن حجر قوله: "الرّوايات بالتّسبيح بالنّوى والحصى كثيرة عن الصّحابة وبعض أمّهات المؤمنين".

١- الأثر عن علي رضي الله عنه:

عن زاذان، قال: (أخذت من أم يعفور تسابيح لها، فلما أتيت عليًا علمني، فقال: يا أبا عمر، ارْدُدْ على أم يعفور تسابيح) (المصنف لابن أبي شيبة برقم ٧٦٦٢).

٢- أثر أبي الدرداء رضي الله عنه: عن القاسم بن عبد الرحمن، قال: (كان لأبي الدرداء، نوى من نوى العجوة، حسبت عشرًا، أو نحوها في كيس، وكان إذا صَلّى الغداة أفضى على فراشه، فأخذ الكيس، فأخرجهن، واحدة، واحدة، يُسبح بهن، فإذا نَفَذْن، أعادهن، واحدة، واحدة، كل ذلك يُسبح بهن) (رواه عبد الله بن الإمام أحمد في زوائد الزهد وإسناده حسن، رجاله ثقَات، وقال البعض القاسم بن عبد الرحمن الشامي مولى جويرية بنت أبي سفيان، لم يسمع من أبي الدرداء الصحابي).

أدلة من قال بعدم الجواز:

في الإنكار على من سبح بالحصى وردت آثار عن ثلاثة من الصحابة رضي الله عنهم، وهي عن عمر، وعن عائشة، وعن ابن مسعود رضي الله عنهم، ولا يصح منها إلا ما ورد عن ابن مسعود.

١- عن إبراهيم، قال: "كان عبد الله يكره العَدَّ، ويقول: أيُمَنُّ على الله حسناته؟" (رواه ابن أبي شيبة في المصنف: برقم ٧٦٦٧، بسند صحيح).

٢- عن عمرو بن يحيى قال: سمعت أبي يحدِّث، عن أبيه قال: كنا جلوسًا على باب عبد الله بن مسعود قبل صلاة الغداة، فإذا خرج مشينا معه على المسجد، فجاءنا أبو موسى الأشعري فقال: أخَرَجَ إليكم أبو عبد الرحمن بَعْدُ؟ قلنا: لا. فجلس حتى خرج، فلما خرج قمنا إليه جميعًا، فقال له أبو موسى: يا أبا عبد الرحمن، إني رأيت في المسجد آنفًا أمرًا أنكرته، ولم أرَ والحمد لله إلا خيرًا، قال: فما هو؟ فقال: إن عشتَ فستراه، قال: رأيتُ في المسجد قومًا حلقًا جلوسًا ينتظرون الصلاة، في كل حلقة رجل وفي أيديهم حصى، فيقول: كبروا مائة، فيكبرون مائة، فيقول: هللوا مائة، فيهللون مائة، ويقول: سبحوا مائة. قال: فماذا قلتَ لهم؟ قال: ما قلتُ لهم شيئًا انتظار رأيك أو انتظار أمرك، قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم، وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم؟ ثم مضى ومضينا معه، حتى أتى حلقة من تلك الحِلَق فوقف عليهم فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن حصىً نعدّ به التكبير والتهليل والتسبيح، قال: فعدوا سيئاتكم، فأنا ضامن ألا يضيع من حسناتكم شيء، ويحكم أمة محمد، ما أسرع هلكتكم! هؤلاء صحابة نبيكم صلى الله عليه وسلم متوافرون، وهذه ثيابه لم تبل، وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد، أو مفتتحو باب ضلالة! قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير، قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا: إن قومًا يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، وايم الله ما أدري لعل أكثرهم منكم، ثم تولى عنهم. فقال عمرو بن سلمة: رأينا عامة أولئك الحِلَق يطاعنونا يوم النهروان مع الخوارج" (رواه الدارمي في سننه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة).

وقال البعض إسناده ضعيف وعمرو بن يحيى هو ابن عمر بن سلمة بن الحارث الكوفي، اختلف قول يحيى بن معين فيه.

ووجه الدلالة: إنكار ابن مسعود عليهم فعلهم، وأن هذا ليس من هدي النبي صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه.

وقد أجيب عن أثر عبد الله بن مسعود بأن الإنكار منه ليس على عقد التسبيح بالحصى ونحوه لوجوه:

١- تعليل الإنكار بقوله: فعدوا سيئاتكم فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء. وقوله: أفلا أمرتهم أن يعدُّوا سيئاتهم، وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم.

٢- أن الإنكار نُقلَ في بعض الروايات بدون ذكر العدِّ بالحصى كما جاء في طريق عطاء بن السائب، وهو من أحسن الطرق.

٣- أن مذهب ابن مسعود كراهة عقد التسبيح مطلقًا. انظر حديث التسبيح وفوائده النفيسة وعد التسبيح بالمسبحة للشيخ فريح، واحتجوا كذلك بأنها وسيلة محدثة، وبدعة محرمة؛ ولما فيها من التشبه بالكفرة، والاختراع في التعبد. (انظر: السُّبحةُ تاريخُها وَحُكْمُهَا للدكتور بكر أبو زيد ص٥٨).

وأجيب عن ذلك بأن التسبيح بالمسبحة لا يُعد بدعة في الدين؛ لأن المراد بالبدعة المنهي عنها هي البدع في الدين، والتسبيح بالمسبحة إنما هي وسيلة لضبط العدد، وهي وسيلة مرجوحة مفضولة. (مجموع فتاوى ومقالات العلامة ابن عثيمين).

وبعد عرض أدلة الفريقين والرد عليها أرى أن الأرجح هو قول جمهور أهل العلم بأن استعمال النوى والحصى، وما على شاكلتها من السبحة، وآلة العدّ المستخدمة حديثًا جائز لقوة أدلتهم.

ونختم بفتوى اللجنة الدائمة على حكم استخدام السبحة؟ قالت اللجنة: عدّ التسبيح بالسبحة جائز؛ لأنه لا دليل على منعه، ولا فرق بين ما بعد الصلاة وغيره، والعد بالأصابع أفضل؛ اقتداءً بالنبي صلى الله عليه وسلم. (السؤال السادس من الفتوى رقم ١٧٨٨٠).

والحمد لله رب العالمين.

واحة

من فضائل الصحابة

عن عون بن أبي جحيفة، عن أبيه، قال: قال علي رضي الله عنه: "خيرنا بعد نبينا: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما". (سير أعلام النبلاء).

من نور كتاب الله

القرآن أفضل أنيس

قال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ) (يونس: ٥٧، ٥٨).

حِكَم ومواعظ

عن خالد بن معدان، قال: "إذا فتح أحدكم باب خير، فليسرع إليه، فإنه لا يدري متى يُغلق عنه".
(سير أعلام النبلاء)

من دلائل النبوة

إبراؤه لعين عليٍّ رضي الله عنه

عن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر: أين علي بن أبي طالب؟ فقالوا: هو يا رسول الله يشتكي عينيه. قال: فأرسل إليه فأتى، فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ودعا له، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع. (صحيح البخاري).

من حكمة الشعر

في التزود بالخير والمعروف

وما هذه الأيام إلّا معارة... فما استطعت من معروفها فتزوّد
فإنك لا تدري بأيّة بلدة... تموت ولا ما يحدث الله في غد

التوحيد

إعداد: علاء خضر

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

رحمة الله بخلقه

عن أبي هريرة، قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجلٌ ومعه صبيٌّ يضمُّه إليهِ، فقال: "أترحمُه"؟ قال: نعم، قال: "فاللهُ أرحمُ بكَ منكَ بهِ، وهو أرحمُ الراحمينَ". (صحيح الأدب المفرد ٢٩٠).

من دعائه صلى الله عليه وسلم

عن شكل بن حميد قال: قلت: يا رسول اللهِ: علمني دعاءً أنتفع به. قال: "قل: اللهم عافني من شر سمعي، وبصري، ولساني، وقلبي، وشر منيي". قال وكيع: "منيي" يعني: الزنا الفجور. (صحيح النسائي ٥٤٩٩).

من معاني الأحاديث

«أَنَّهُ نَهَى عَنْ حُلْوَانِ الكاهِنِ» هو ما يعطاه من الأجر والرشوة على كهانته، يقال: حَلَوْتُه أحْلُوه حُلْوَانًا. والحُلْوان مصْدر كالغُفْران، ونونه زائدة، وأصله من الحَلَاوةِ.

(النهاية ابن الأثير).

من أقوال السلف

عن أيوب، عن أبي قلابة، قال: إذا حدَّثتَ الرجل بالسُّنَّة، فقال: دعنا من هذا وهات كتاب الله، فاعلم أنه ضالّ. (سير أعلام النبلاء).

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

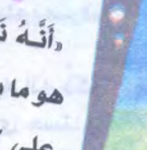

"إن من السرف أن تأكل كل ما اشتهيت". موضوع. أخرجه ابن ماجه (٣٢٢/٢)، وابن أبي الدنيا في " كتاب الجوع " (٨/١) السلسلة الموضوعة، للألباني).

أثر السياق في فهم النص

(١١٠)

حجاب المرأة المسلمة

(٢٠)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

ما زال الحديث متصلًا حول أدلة الحجاب من القرآن والسنة، وقد انتهيت بفضل الله تعالى من أدلة القرآن، ووصلت في أدلة السنة إلى الحديث الرابع عشر: حديث الخثعمية التي استفتت رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع يوم النحر وأخذ الفضل ينظر إليها.. الحديث.

ورأينا استدلال الفريقين من الحديث: الفريق القائل بوجوب تغطية الوجه، والفريق القائل بجواز كشف الوجه.

د. متولي البراجيلي

وأوردت بعض الإيرادات على هذه الاستدلالات، وقد انتهيت بفضل الله تعالى في الحلقة السابقة من كلام الشيخ الشنقيطي يرحمه الله، ونواصل البحث.

يقول الشيخ التويجري يرحمه الله حول حديث الخثعمية: وأما حديث ابن عباس رضي الله عنهما، فالجواب عنه من وجوه: أحدها: أن ابن عباس رضي الله عنهما لم يصرح في حديثه بأن المرأة كانت سافرة بوجهها، وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رآها كذلك وأقرها، حتى يتم الاستدلال به على جواز سفور المرأة بوجهها بين الرجال الأجانب، وغاية ما فيه أنه ذكر أن المرأة كانت وضيئة، وفي الرواية الأخرى (حسناء)، فيحتمل أنه أراد حسن قوامها وقدها ووضاءة ما ظهر من أطرافها (الصارم المشهور ١٢٢).

قلت: هذا الاستدلال ذكره بنحوه الشيخ الشنقيطي يرحمه الله.

ويجاب عن كلام الشيخ التويجري بقريب مما سبق أن أجبت به على كلام الشيخ الشنقيطي، ففي قول الشيخ التويجري أن ابن عباس رضي الله عنهما لم يصرح في حديثه بأن المرأة كانت سافرة بوجهها، وأن النبي صلى الله عليه وسلم رآها كذلك وأقرها.

قلت: لماذا إذن كان النبي صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل إن كانت المرأة تغطي وجهها؟

وفي قول الشيخ التويجري: غاية ما فيه أنه ذُكِرَ أن المرأة كانت وضيئة، وفي الرواية الأخرى حسناء، فيحتمل أنه أراد حسن قوامها وقدها ووضاءة ما ظهر من أطرافها.

قلت: يُستبعد أن تُوصف المرأة بأنها حسناء ووضيئة ويراد بذلك قوامها، وما ظهر من أطرافها، فمن البديهي أن هذه الأوصاف تكون لوجه المرأة ولا يوصف قوامها بهذه الأوصاف، وهي امرأة محجبة، فما هي الأطراف التي ظهرت منها، وهل تغطي وجهها وتترك أطرافها التي تشير إلى وضاءتها وحسنها، وهل قوامها استلفت نظر الفضل حتى يكرر النظر إليه مرات؟، ثم في رواية من روايات الحديث، قال الفضل رضي الله عنه: فكنت أنظر إليها فنظر النبي صلى الله عليه وسلم فقلب وجهي عن وجهها، ثم أعدت النظر فقلب وجهي عن وجهها، حتى فعل ذلك ثلاثًا وأنا لا أنتهي. (انظر روايات الحديث في جلباب المرأة المسلمة صـ٦٢).

قلت: واستبعاد الشيخ التويجري رؤية النبي صلى الله الله عليه وسلم لوجه الخثعمية، يرده أمور، منها: إنه في إحدى روايات الحديث ذكر الفضل رضي الله عنه قوله: كنت ردف النبي صلى الله عليه وسلم، وأعرابي معه بنت له حسناء فجعل الأعرابي يعرضها لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء أن يتزوجها... (قال الحافظ في الفتح رواه أبو يعلى بإسناد قوي ٤/٦٨، وضعفه الألباني وذكر أن فيه خمس علل، انظرها في الرد المفحم ١/٥٨ - ٦١).

قلت: فمن أخذ بتقوية الحديث، جعل كشف الخثعمية لوجهها من أجل أن يراها النبي صلى الله عليه وسلم فيعجبه حسنها فيتزوجها.

قلت: وهل تكشف المنتقبة وجهها أمام عموم الناس في الحج ليراها النبي صلى الله عليه وسلم ويراها الناس؟ فهذا بعيد، فالمنتقبة تكشف وجهها فقط لمن أراد خطبتها، وقد يرد على ذلك أنها كانت جاهلة بالأحكام، وهذا محتمل، لكن يبقى في كلامه الإقرار بكشف وجهها، وأنها كشفته ليراه النبي صلى الله عليه وسلم، وبالتالي الإقرار بأن الرسول صلى الله عليه وسلم رآها. ولا يخفى أنه في الحديث أنها كانت كاشفة عن وجهها، والرد على من قال: إنه لم يرها إلا الفضل وحده، كيف وهي كانت كاشفة وتتعرض للنبي صلى الله عليه وسلم لينظر إليها، وفي هذا ردّ أيضًا على من زعم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يرها ولا أقرها على كشف وجهها.

أما من قال بضعف الحديث فلم يعوّل عليه في شيء؛ كالشيخ الألباني مع أن الحديث دليل قوي لما ذهب إليه من جواز كشف المرأة لوجهها.

ثم قال الشيخ التويجري: الوجه الثاني: أن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما لم يكن حاضرًا حين كان أخوه الفضل ينظر إلى الخثعمية وتنظر إليه؛ لأنه كان ممن قدّمه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الضَّعَفة بالليل، كما ثبت ذلك عنه في الصحيحين والمسند والسنن، وروايته للقصة إنما كانت من طريق أخيه الفضل بن عباس رضي الله عنهما (الصارم المشهور صـ ١٢٢) قلت: قال الترمذي: سألت محمدًا - يعنى البخاري- عن هذا -أي عن حديث الفضل- فقال: أصح شيء فيه ما روى ابن عباس عن الفضل، قال: فيحتمل أن يكون ابن عباس سمعه من الفضل، ومن غيره ثم رواه بغير واسطة. قال الحافظ ابن حجر: ويحتمل أن يكون سؤال الخثعمية وقع بعد رمي جمرة العقبة، وحضره ابن عباس، فنقله تارة عن أخيه لكونه صاحب القصة، وتارة بما شاهده، ويؤيد ذلك ما وقع عند الترمذي وأحمد وابنه عبدالله والطبري من حديث علي رضي الله عنه، مما يدل على أن السؤال المذكور وقع عند المنحر بعد الفراغ من الرمي، وأن العباس كان شاهدًا.

فقال العباس: يا رسول الله لويت عنق ابن عمك، قال: رأيت شابًا وشابة فلم آمن عليهما الشيطان، وظاهر هذا أن العباس كان حاضرًا لذلك، فلا مانع أن يكون ابنه عبد الله ابن عباس أيضًا كان معه (انظر فتح الباري ٤/٦٧).

قلت: وقد ثبت أن سؤال الخثعمية كان بعد رمي الجمرات، وابن عباس إنما أرسله النبي صلى الله عليه وسلم مع الضعفة بليلٍ، فانتهى مما كلفه به النبي صلى الله عليه وسلم، وعاد إليه ليكمل معه المناسك، ويؤيد ذلك أن ابن عباس كلفه النبي بالتقاط الحصى الذي سيرمي به جمرة العقبة فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة العقبة (وفي رواية غداة النحر، وفي رواية غداة جمع) وهو واقف على راحلته: «هَلُمَّ الْقُطْ لي»، فلقطت له حصيات هن حصَى الخذف... الحديث (انظر حجة النبي صلى الله عليه وسلم للألباني هامش صـ ٧٨، والحديث أخرجه أحمد في المسند ح ١٨٥١ بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما، ح ٣٢٤٨ بالشك من عوف ابن أبي جميلة الأعرابي أحد رواة الحديث أنه لا يدري عبدالله أو الفضل بن عباس، وقد أخرج الحديث النسائي وابن أبي شيبة وابن حبان وغيرهم أن من التقط هو ابن عباس، انظر تخريج الحديث في سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ح ١٢٨٣).

ثم قال الشيخ التويجري: «وعلى تقدير أن الفضل رأى وجه الخثعمية، فيحتمل أنه قد انكشف بغير قصد منها، فرآه الفضل وحده، يوضح ذلك، الوجه الثالث: وهو أن الذين شاهدوا قصة الفضل والخثعمية لم يذكروا حسن المرأة ووضاءتها، ولم يذكروا أنها كانت كاشفة عن وجهها، فدل هذا على أنها كانت مستترة عنهم».

قلت: بعد أن قال الشيخ بعدم رؤية وجهها، عاد فقدر أن الفضل رأى وجهها - وهذا ظاهر في الحديث - لكنه قصر رؤية وجهها للفضل فقط، واحتمال أن ينكشف نقابها أو إسدالها عن وجهها بغير قصد منها وارد، لكنه يبقى مجرد احتمال، مع استبعاد تعلق نظر الفضل بها وتكراره النظر إليها لمجرد لمحة عابرة رآها عندما انكشف غطاء وجهها؛ ففي العادة أن غطاء الوجه إذا انكشف بفعل هواء أو غير ذلك فإنه لا يظهر الوجه كاملاً وتسارع المرأة بتغطية وجهها، فلا يستطيع من لمح هذه اللمحة السريعة، أن يصف جمال المرأة وأنها وضيئة حسناء، أما قول الشيخ التويجري أنه لم يصف حسن المرأة ووضاءتها إلا ابن عباس فقط، مما يدل على أنها كانت مستترة عن الأعين.

قلت: لا يلزم لكل من رأى القصة أن يرويها بتفاصيلها-وهذا مقرَّر في علم الحديث- والغالب على الراوي أن يركز على المعنى الرئيس في الحديث، وهو في حديث الخثعمية السؤال عن الحج عن أبيها الذي لا يستطيع الحج لكبَر سنِّه، ومقتضى رواية ابن عباس تستلزم أن يَذكر وصف المرأة وحسنها لأنها العلة في صرف وجه النبي صلى الله عليه وسلم للفضل عدة مرات.

ثم قال الشيخ التويجري: وفي تعليله صلى الله عليه وعلى آله وسلم خوف الفتنة على الفضل بشباب المرأة، إشعار بأنها لم تكشف وجهها بمرأى من النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه صلى الله عليه وسلم لم ير ما ذكر عنها من الحسن، وإلا فالحسن أدعى إلى الفتنة من الشباب أو التعليل به أقوى من التعليل بالشباب، ولما لم يعلل النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، دلَّ على أنها كانت ساترة لوجهها.

قلت: التعليل بالشباب وليس بالحسن؛ لأن الحسن يشترك فيه الشابة وغيرها، أما التعليل بالشباب لأن مظنة الفتنة بين الشباب أقوى، وهذا ظاهر في كلام النبي صلى الله عليه وسلم: رأيت شابًا وشابَّة فلم آمن الشيطان عليهما، فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يقصر علة الشباب على المرأة فقط وإنما أشرك فيها الفضل ابن عباس رضي الله عنهما.

قال الشيخ السندي: لا حجة في الحديث للذين يقولون بجواز كشف الوجه والكفين؛ لأنه صلى الله عليه وسلم أنكر على الفضل بن عباس إنكارًا باتًا بأن لوى عنقه، وصرفه إلى جهة أخرى، وكان في هذا الصنيع من رسول الله صلى الله عليه وسلم إنكار واضح لأنه أنكر باليد (ثلاث رسائل في الحجاب صـ ٨٣).

قلت: في قول الشيخ السندي أن النبي صلى الله عليه وسلم أنكر باليد على الفضل رضي الله عنه، فهل يترك النبي صلى الله عليه وسلم الخثعمية بلا إنكار ولو بكلمة، وهل هذا يجوز في حق النبي صلى الله عليه وسلم أن يرى منكرًا ولا يأمر بتغييره، ولا يذكر كلمة واحدة للمرأة، وهو المشرِّع وسكوته صلى الله عليه وسلم يُعَدُّ إقرارًا منه لما يرى؛ لأن سكوته صلى الله عليه وسلم ليس كسكوت أي أحد، فكيف ينكر على الفضل وحده نظره للخثعمية، بينما هو رد فعل لكشفها المرأة لوجهها، ولا ينكر على المرأة، ومنكرها بكشف وجهها هو السبب فيما حدث من الفضل؟

الحديث الخامس عشر:

عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن امرأة جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد، فقالت: يا رسول الله جئت لأهب لك نفسي، فنظر إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فصعَّد النظر إليها وصوَّبه، ثم طأطأ برأسه، فقامت قيامًا طويلاً، فلما رأت المرأة أنه لم يقصد فيها شيئًا جلست، فقام رجل من أصحابه، فقال: يا رسول الله إن لم يكن لك بها حاجة فزوِّجنيها، الحديث (البخاري ومسلم وغيرهما).

الاستدلال من الحديث:

أولاً: لمن قال بجواز كشف الوجه: يقول ابن بطال: وإذا ثبت أن النظر إلى وجه المرأة لخطبتها حلال، فخرج بذلك حكمه من حكم العورة، لأنا رأينا ما هو عورة لا يباح لمن أراد نكاحها النظر إليه، ألا ترى أن من أراد نكاح امرأة فحرام عليه النظر إلى شعرها أو إلى صدرها أو إلى ما أسفل من ذلك من بدنها، كما يحرم ذلك منها على مَن لم يرد نكاحها، فلما ثبت أن النظر إلى وجهها حلال لمن أراد نكاحها، ثبت أنه حلال أيضًا لمن لم يرد نكاحها إذا كان لا يقصد بنظره ذلك إلى معنى هو عليه حرام... (شرح صحيح البخاري لابن بطال ٧/٢٣٩).

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

الأخوَّة صفةٌ نادرةٌ ولزماننا مغادرة

(٦)

عقد الأخوَّة الصحيح لا ينقطع على طول الزمان الفسيح

(من صفات الناصح الأمين)

إعداد **د. عماد عيسى**

المفتش بوزارة الأوقاف

الْحَمد لله عَلَى إحسانه وإنعامه، وإرشاده للْقيَام بالسنة وإلهامه، وَأشْهد أن لَا إلَـه إلَّا اللَّه وحده لَا شريك لَهُ شَهَادَة دائمةً بدوامه، وَأشْهد أن مُحَمَّدًا عَبده وَرَسُوله خَاتَمُ رُسُله ومِسْكُ ختَامه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَعَلَى آله صَلَاة مقرونَةً بسلَامه، وبعد:

فَمن تأمَل النَّصيحة، وعَرَف مَعْنَاها، ولَحَظ مَغْزَاها، وعَلِم مَوْقِعها منَ الدِّين، ونظَرَ فيها نَظَرَ المتثبِّت الحَصيف الرَّاغب في اقْتدَاح زنَاد العقل، من أجْل الازْديَاد من الأجْر والفَضْل، وقَع له الاشْتيَاقُ للوقُوف على حقَائقها، وحصَل التَّوْقُ للوُلُوج في مَضَائقها، والتَّغَلْغُل إلى دَقَائقها، جعَلَنا اللَّه تَعَالَى ممَّن همُّه النُّصح، وغايَتُه الدَّلالة على الخير، وبُغْيَتُه هدايةُ النَّاس إلى الصِّراط المسْتَقيم ابتغَاء مرضَاة اللَّه تَعَالى وحسْبَةً له سبحانه، ونعوذُ به أنَ نتصدَّى لما لا نحسنُ أو أن يغرَّنا باللَّه الغرور.

وحديثُنا هذه المرَّة عن بعض صفات النَّاصح الأَمين وهي كثيرةٌ؛ إذْ إنه لا يكون المرء حقيقًا بهذا الوصف جديرًا به، حتَّى يجمعَ صفات كثيرةً قد يطولُ سردُها، ويكثُر تَعْدادُها، ويحسن بنا عرضُ رؤوسها كحُسْن القَصْد، وتَجْويد الكَلام، والحرْص على اختيار الوقْت الملائم والزَّمان المناسب، والأخذ بالإسْرار.

وأول ما يَنْبَغي أنْ يعلَمَه الناصح الأمين أنه سائرٌ على دَرْب النبيين، مقتدٍ بهم، متبعٌ لهديهم، قال تعالى على لسان نوح عليه السلام: « أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ » (الأعراف: ٦٢)، وقال تعالى على لسان هود عليه السلام: «أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ » (الأعراف: ٦٨).

ومتصف ببعض أوصاف الآمرين الناهين ، قال تعالى: «وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ

يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ » (القصص: ٢٠).

قَالَ مِعْمَرٌ: كَانَ يُقَالُ: أَنْصَحُ النَّاسِ لَكَ مَنْ خَافَ اللهَ فِيكَ. (جامع العلوم: ١/٢٢٥).

وإليكَ بعضَ الخواطر في شأن الناصح وبعض أوصافه:

إن الأخ الناصح تجده منصفًا متحريًا للصَواب غيرَ مُحَابٍ للقريب ولا مُجَافٍ للغريب.

إن الأخ الناصح يصل أخاه بنصحه وتفقده، وبرِّه وتعهده، فلا يداريه ولا يماريه؛ إذ المِرَاء يُفسد الصداقةَ العتيقةَ، ويحلُّ العُقدة الوثيقة، وأقل ما فيه وقوع المغالبة وهي من أمتن أسباب القطيعة وقديمًا قالوا: إذا كان لك صاحبٌ فلا تحاسبْه ولا تناسبْه، وهذا صحيح فكلاهما في كثير من الأحوال يؤدي إلى المراء، والقيل، والقال، والتنافس فينفرط عقْد التآخي وتُحلُّ عُقدة الأُخُوَة وينفسِخُ عَقْدها كما قيل:

حسدُ القرابةِ للقرابة قُرْحةٌ
أَعْيتْ عوائدَها وجُرحٌ أقدمُ

الأخ الناصح لا يغشُّك ولا يخدعُك بل هو مخلص لا يخلطُ هذا على ذاك ولا يجمع بين الصدق والكذب ولا يضم النصح إلى الغش فإن هذا لا يفلح ولا ينجح كما قيل:

ومن يخلطِ الماءَ الزلالَ بآجنٍ
من الماءِ يخبثْ لا تَطِيب مشاربُه

أولًا: حسن القصد بالنصيحة:

النصيحة عملٌ، ولا يُقبل العملُ إلا بشرطيْه: إخلاص ومتابعة السُّنَّة، وفي الحديث الفرد المشهور قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى» (متفق عليه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه).

ومعناه تصحيح النية وإحضارها وتصفيتها من حظوظ النفس ومن الأغْراض الفاسدَة والأغراض الكاسدَة، وهذا المعنى وإن كان حصوله عزيزًا إلا أنه تسكن إليه النفوس الصادقة والقلوب الصافية سكون الصادي إلى برد الماء.

قال علي بْن المديني حَدَّثَنَا سُفْيَان بن عيينة قَالَ: قلت لمسْعر: تُحبُّ أن يُخْبرك رجلٌ بعيوبك، قَالَ: أمَّا أن يجيء إنسان فيوبِّخني بها فلَا، وأما أن يجيء ناصحٌ، فنَعَم. (روضة العقلاء: ص١٩٦).

المؤمنُ الناصحُ شعارُهُ في ذَلك ما قاله الأنبياءُ لأقوامهم: «وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ»، فهو يقصد بنصيحتِه النصيحة لا الفضيحة ويرجو بها التذكير لا التشهير ويريد من ورائها التغيير لا التعيير، ولا يعمد إلى ازدراء الناس ولا التنقص والافتراء ولا التطاول عليهم ولا التشاغل بانتقاصهم والطعن عليهم.

ورحم الله الشَّافعيَّ حين قال: «مَا نَاظَرْتُ أَحَدًا عَلَى الغَلَبَةِ إلاَّ عَلَى الحَقِّ عِنْدِي، مَا نَاظَرْتُ أَحَدًا إلاَّ عَلَى النَّصِيحَةِ». (السير: ١٠/٢٩).

وإنما نبَّهتُ على تلك الآفات لأنَّ الدَّخَل الذي يدخلُ على النَّصيحة يكونُ منها في غالِب الأحيَانِ فيكدِّرُ صفَاءَها ويعكرُ صفوَها ويحوِّل جهَتَها ويقْلبُ قبْلتها الصحيحة.

ومن تأمَّل أحوالَ من يتزيَّون بزيِّ الناصحين وجَدَ أكثرهم لا يخلو من تلك الآفات فاعرفْ ذلك فإنه أصلٌ كبيرٌ عظيمُ النَّفع كثيرُ الغَنَاء، ومع ذلك زلَّتْ فيه أقْدامٌ، وضلَّتْ عنه أفهامٌ ومرجَتْ بتركِه عقولٌ، وضاعتْ بضَيَاعه أصولٌ ونعوذ بالله من العمى بعد الإبصار.

ويتّضح النُّصح الخالص والوُدُّ النَّقي والصحبةُ الوفيةُ عند الشَّدائد والملمَّات والنَّوازل كما وقع من أبي بكر الصديق رضي الله عنه حينما لحق عليه الصلاة والسلام بالرفيق الأعلى، فإن الناس اضطربوا ومرجوا يوم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم حتى بلغ من عمر رضي الله عنه- وهو أشد الناس صحبة للصديق رضي الله عنه أن قال: والله ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام الصديق خير قيام ونصح عمر والناس حتى استوعبوا هذا الحدث الجلل ووَعَوْه ببركة صُحبة الصِّدِّيق رضي الله عنه.

ثانيًا: اختياره الوقت الأفضل والزمان الأمثل:

توجيه النصح كوضْع البَذْر في الأرض له زمانُه وأوانُه، فليْسَ كلّ وَقت يكون المرءُ مهيأً لقبول النصيحة، إذ لكُلِّ تُرْبَة غرْسٌ، ولكُلِّ بنَاء أسٌّ، بل ربما لعدم تحرّي الوقت الأنسب تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، وقد يكون المرء بفَقْد التفقُّد لحال المدعُو صادًّا عن دعوته من حيثُ لا يشعر، وحينها يكون الصمتُ عن النَّصيحة أرْجَى لها والسكوتُ عن الإفادة أزين من الكلام، فمن المواطن ما يكون البيان فيها عدم البيان بل يكون عدم النطق أفضل ما يكون من النطق وأتم ما يكون بيانًا إذا لم تُبِنْ، وهذه جملة قد تنكرُها حتى تَخْبُر وتدفعُها حتى تنظُر. فتنبَّه رحمك الله تعالى كي لا تندم ولئلا تحرم الأجر والمثوبة، ولئلا يحال بينك وبين التوفيق والمعونة الربانية.

واجعل لنصيحتك تمهيدًا وأعدَّ لها تَوْطئةً وقدّم لها فليس نصحك بالشيء بغتة غفلاً كنصحك بعد التنبيه والتقديم له، فهذا يشبه من يلوّح قبل أن يصرّح.

ثالثًا: الإسرار بالنصيحة:

وذلك بأن يعظ المرءُ من يريد موعظتَه ونُصحَه سرًّا، ولعل هذا سرٌّ من أسرار البدء بالدعوة السرية مدة ثلاثة أعوام في مهد دعوة الإسلام على يد نبينا محمد قدوة الأنام صلى الله عليه وسلم، فإن المرء حينئذ يكون أقرب إلى قبول النصح حتى تشعر أحيانًا أن بعض المنصوحين تُذلِّل لك مصاعبُه، ويَسهُل قيادُه، ويُسلِمُ ناصيتَهُ لمن ينصحُه وهذا أمرٌ بيِّنٌ لا يُدفع، وظاهرٌ مكشوفٌ لا يتقنَّع، فسبحان من قلوب العباد بين أصابعه يقلبها كيفما شاء.

إن النصح على الملأ يضيق الصدر ويوغره ويحيل الطبع ويفسده ويقلب الخُلُق ويكدر العقول ويغير الأفهام، ولذا تجد عندها الوجه عبوسًا والخير محبوسًا، والكلام كالوعيد والبصر حديد والشر يفيض والخير يغيض.

قال ابن حبان: «النصيحة تجب على الناس كافة على مَا ذكرنا قبل، ولكن إبداءها لا يجب إلا سرًّا لأن من وعظ أخاه علانية فقد شانه ومن وعظه سرًّا فقد زانه، فإبلاغ المجهود للمسلم فيما يزين أخاه أحرى من القصد فيما يَشِينه».

وقالِ ابن رجب: «وَكَانَ السَّلَفُ إذَا أَرَادُوا نَصيحَةَ أَحَد، وَعَظُوهُ سرًّا حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ: مَنْ وَعَظَ أَخَاهُ فيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، فَهِيَ نَصيحَةٌ، وَمَنْ وَعَظَهُ عَلَى رُؤُوس النَّاس فَإنَّمَا وَبَّخَهُ».

وَقَالَ الْفُضَيْلُ: «الْمُؤْمِنُ يَسْتُرُ وَيَنْصَحُ، وَالْفَاجِرُ يَهْتِكُ وَيُعَيِّرُ».

وَقَالَ عَبْدُ الْعَزيزِ بْنُ أَبِي رَوَّاد: «كَانَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ إذَا رَأى الرَّجُلَ مِنْ أَخيه شَيْئًا يَأْمُرُهُ في رفْقٍ، فَيُؤْجَرُ في أمْره وَنَهْيه، وَإنَّ أَحَدَ هَؤُلَاءِ يَخْرقُ بِصَاحِبِه فَيَسْتَغْضِبُ أَخَاهُ وَيَهْتِكُ سِتْرَهُ».

وَسُئِلَ ابْنُ عَبَّاس رَضيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنْ أَمْر السُّلْطَان بِالْمَعْرُوف، وَنَهْيه عَن الْمُنْكَر، فَقَالَ: «إنْ كُنْتَ فَاعِلاً وَلَابُدَّ، فَفِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ» (جامع العلوم والحكم: ١/٢٢٥).

وبهذه الأوصاف في النصح يقطع الناصح عذر المنصوح، ويقيم الحجة عليه، ويغلق عليه أبواب الرد والهروب، ويهديه لرشده، ويعينه على ملازمة الصواب بدلالته على ما أضاع من حظه، ويأخذ بيده لتدارك ما فرّط في جَنْب الله تعالى.

عن علي بْن المديني عَن سُفْيَان قَالَ: «جاء طلحة إلى عَبْد الجبار بْن وائل وعنده قوم فسارَّه بشيء ثم انصرف فقال: أتدرون مَا قَالَ لي؟ قَالَ: رأيتك التفتَّ أمس وأنت تصلي».

قال ابن حبان: «النصيحة إذا كانت على نعت مَا وصفنا تقيم الألفة وتؤدي حق الأخوة».

وعلامة الناصح إذا أراد زينة المنصوح له أن ينصحه سرًّا وعلامة من أراد شينه أن ينصحه علانية. (روضة العقلاء: ص ١٩٧).

فيا أخي اعمل بما تسمع عن خير الورى بادر إليه لا تكن مقصرًا.

نسأل الله أن يهدينا لأحسن الأخلاق والأعمال لا يهدي لأحسنها إلا هو، وأن يصرف عنا سيئَ الأخلاق والأعمال، إنه جواد كريم.

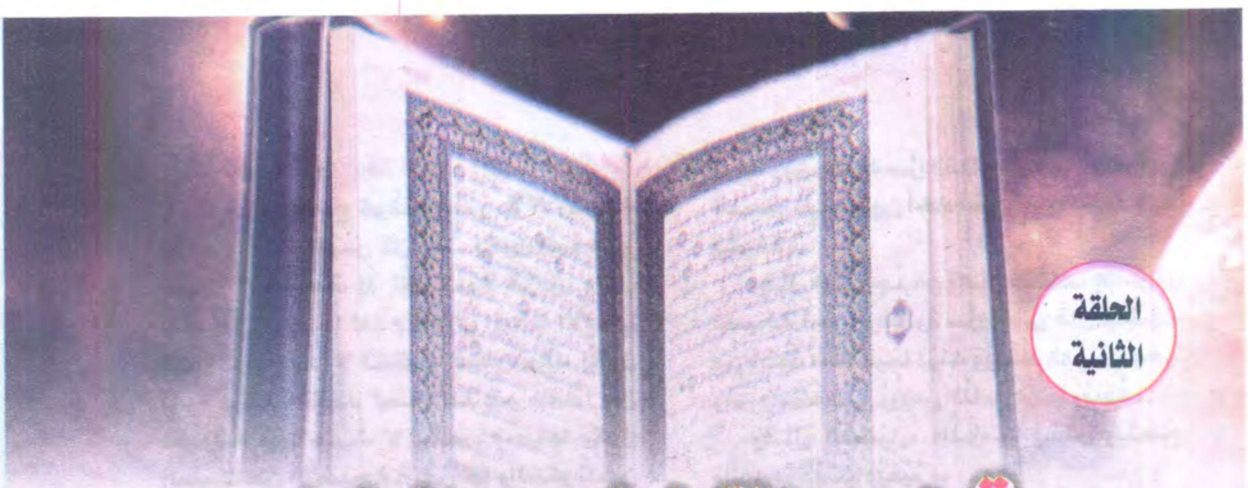

الحلقة الثانية

قواعد التعامل مع العلماء

د. عبد الرحمن بن صالح الجيران

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فما يزال الحديث متصلاً عن قواعد تعامل الشباب مع العلماء، ونواصل حديثنا حول القاعدة الشرعية: «وجوب التزام الجماعة»، فنقول- وبالله تعالى التوفيق-:

لما رأى علماء السلف رحمهم الله كثرة الفتن بسبب الخروج على ولاة الأمور، وشدة ما يترتب عليه من مفاسد تزيد على المصالح أصَّلُوا أصلًا في أصول أهل السنة والجماعة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والصبر على جَوْر الأئمة أصل من أصول أهل السنة والجماعة». (مجموع الفتاوى: ٢٨/ ١٧٩).

قال أبو جعفر الطحاوي: «ونرى الجماعة حقًّا وصوابًا، والفرقة زيغًا وعذابًا».

ولهذا قال الإمام الزهري: "وقعت الفتنة وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم متوافرون؛ فأجمعوا على أن كل دم، أو مال، أو قرح أصيب بتأويل القرآن فهو هدر؛ أنزلوهم منزلة الجاهلية".

وإذا دار الأمر بين رأيك أيها الشاب ورأي كبار العلماء فاتَّهِمْ رأيك؛ لأن العلماء ورثة الأنبياء.

قال ابن القيم: «إن أحدًا ممن بعدهم لا يساويهم في رأيهم وكيف يساويهم؟ وقد كان أحدهم يرى الرأي فينزل القرآن بموافقته وحقيق بمن كانت آراؤهم بهذه المنزلة أن يكون رأيهم لنا خيرًا من رأينا لأنفسنا، وكيف لا وهو الرأي الصادر من قلوب ممتلئة نورًا وإيمانًا، وحكمة وعلمًا، ومعرفة وفهمًا عن الله ورسوله ونصيحته للأمة، وقلوبهم على قلب نبيهم، ولا واسطة بينهم وبينه وهم ينقلون العلم والإيمان من مشكاة النبوة غضًا طريًّا لم يَشَبْهُ إشكال وقياس آراء غيرهم بآرائهم أفسد القياس». (إعلام الموقعين رب العالمين: ١/ ٨١).

ويزيد الأمر توضيحًا بقوله: «وكان صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح كالنجوم الدراري، ولولا أن الحق لله ورسوله، وأن كل ما عدا الله ورسوله فمأخوذ من قوله ومتروك، وهو عرضة الوهم والخطأ لما اعترضنا على من لا نلحق غبارهم ولا نجري معهم في مضمارهم ونراهم فوقنا في مقامات الإيمان ومنازل السائرين كالنجوم الدراري، ومن كان عنده علم فليرشدنا عليه، ومن رأى في كلامنا زيفًا أو نقصًا أو خطأ فليهدنا إلى الصواب؛ نشكر له سعيه ونقابله بالقبول والإذعان والانقياد والتسليم». (مدارج السالكين: ٢/ ١٣٧).

والتحقيق أن الشباب الذين انحرفوا؛ كان بسبب مقولة سرت إليهم من الخوارج وهي قولهم: "هم رجال ونحن رجال"!! فساووا أنفسهم بالصحابة من حيث العلم والفهم والتقوى؟!

فكانت النتيجة أنهم ما جنوا من إنكارهم المنكر إلا الحنظل!!

وعندنا في زماننا هذا وخلال العقدين الماضيين وقعت فتن عظيمة في عالمنا الإسلامي فكان رأي كبار العلماء فيها الصبر وعدم الخروج، ورأي الشباب المتحمس عكس ذلك فوقعت الفتن، وانشقت الكلمة، وأزهقت الأرواح، وضاعت الأموال، وأهدرت

الكرامة، وذل الدعاة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وما ذاك إلا بسبب عدم تدبر القواعد الشرعية والسنن المرعية والجهل بطرق أخذ الأحكام من النصوص بعد جمعها، وتُطرح أفهام الصحابة وباقي السلف ونتيجة ذلك أصيبوا بمرض تقديم الرأي على النص، فتأمل هذا أيها الشاب وانظر إلى حال بلاد الإسلام ليتضح لك جليًا ما نقول.

نصيحة للشباب:

قال الإمام أبو بكر الآجري: «علامة من أراد الله عز وجل به خيرًا سلوك هذه الطريق كتاب الله وسنن الرسول صلى الله عليه وسلم وسنن أصحابه رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان، وما كان عليه أئمة المسلمين في كل بلد إلى آخر ما كان من العلماء مثل: الأوزاعي، وسفيان الثوري، ومالك بن أنس، والشافعي، وأحمد بن حنبل، والقاسم بن سلام، ومن كان على مثل طريقتهم مجانبة كل مذهب لا يذهب إليه هؤلاء العلماء». (الشريعة: ص١٤).

فعن ابن شوذب قال: «من نعمة الله على الشاب والأعجمي إذا نسكا أن يُوَفَّقَا لصاحب سُنَّة يحملهما عليها؛ لأن الأعجمي يأخذ فيه مما سبق» (رواه ابن بطه في «الإبانة» ٤٧٦/٢، ٥١٧).

القاعدة الشرعية الثالثة: علماء السنة من السابقين، ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر وأهل الفقه والنظر لا يُذْكَرُون إلا بالجميل ومَن ذَكَرَهم بسوء فهو على غير السبيل.

وهذا هو الأدب الواجب تجاه العلماء الربانيين الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم وذلك للأسباب التالية:

١- لأنهم خلفاء الرسول صلى الله عليه وسلم في أمته.

٢- لأنهم المحيون لما مات من سُنته.

٣- ولأنهم جميعًا متفقون يقينًا على وجوب اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم بمعنى أنه إذا وُجد لواحد من العلماء قول يعارض قول الرسول صلى الله عليه وسلم فلا يخلو الأمر من أحد هذه الأعذار:

الأول: عدم اعتقاده أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله.

الثاني: عدم اعتقاده أنه أراد تلك المسألة بذلك القول.

الثالث: اعتقاد أن ذلك الحكم منسوخ.

وهذا الأدب الواجب من الشباب تجاه الشيوخ، وهو اعترافهم لهم بالفضل والمنة بالسبق وتبليغ رسالة النبي صلى الله عليه وسلم، فرضي الله عنهم، قال الله تعالى: «وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ» (الحشر: ١٠).

لا يُهْدَر العالم بهفوته ولا يُتَّبع في زلته:

قال ابن القيم رحمه الله: «ومن له علمٌ بالشرع والواقع يعلم قطعًا أنَّ الرجل الجليل الذي له في الإسلام قدمٌ صالح، وآثار حسنة، وهو من الإسلام وأهله بمكان قد تكون منه الهفوة والزلة هو فيها معذورٌ، بل مأجور لاجتهاده، فلا يجوز أن يُتَّبَع فيها، ولا يجوز أن تُهْدَر مكانته وإمامته ومنزلته عند المسلمين». (إعلام الموقعين: ٢٨٣/٣).

ولا يوجد عالم إذا برع في علم معين إلا وتجد قد فاته من العلومَ الأخرى ما فاته وليس في هذا قدح في هذا العالم أو إزراء بمنزلته فلا زال هو مقدمًا في علمه وفنه، قال الإمام الذهبي: «فكم من إمام في فنّ مقصِّر عن غيره كسيبويه مثلاً إمام في النحو ولا يدري ما الحديث، ووكيع إمام في الحديث ولا يعرف العربية، وكأبي نواس رأس في الشعر عَرِيّ من غيره، وعبد الرحمن بن مهدي إمام في الحديث لا يدري ما الطب قط، وكمحمد بن الحسن رأس في الفقه ولا يدري ما القراءات، وكحفص إمام في القراءة تالف في الحديث». (تذكرة الحفاظ: ١٠٣١/٣).

الميزان العدل في العلماء:

قال سعيد بن المسيب رحمه الله: «ليس من عالم ولا شريف ولا ذي فضل إلا وفيه عيب، ولكن من كان فضله أكثر من نقصه ذهب نقصُه لفضله، كما أنَّ من غلب عليه نقصانه ذهب فضله». (جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر: ١٠٥/٢).

وعلى هذا الميزان العدل ينبغي أن يسير الشاب في تقدير أهل العلم والسن والخبرة.

عدم تتبّع نوادر العلماء:

جاءت أقوال في الفقه الإسلامي غريبة وشاذة، وهي صحيحة في نسبتها إلى قائلها والدليل خلافها، فلا يجوز الأخذ بها، فضلاً عن نشرها بين الناس؛ لما في ذلك من التلبيس على العامة، قال الأوزاعي رحمه الله: «من أخذ بنوادر العلماء خرج من الإسلام». (نزهة الفضلاء ص٩٠٥، وسير أعلام النبلاء ٤٥١/٢٣).

وللحديث بقية إن شاء الله.

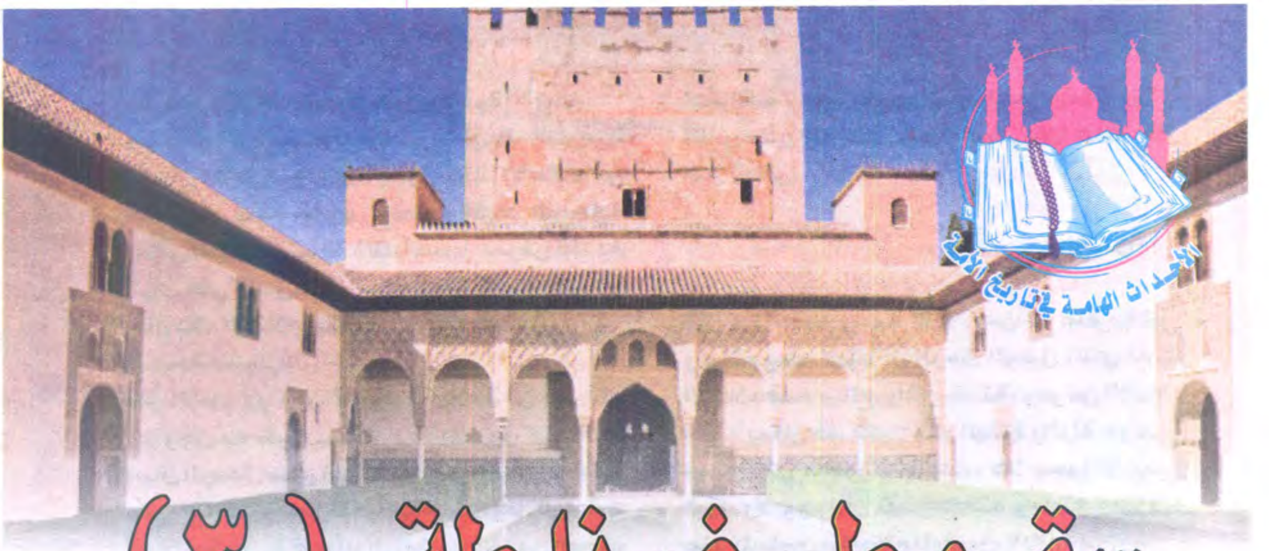

سقوط غرناطة (٣)

ماذا بعد السقوط؟

إعداد عبد الرزاق السيد عيد

الحمد لله مالك الملك؛ يؤتي الملك من يشاء، وينزعه ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، والصلاة والسلام على البشير النذير محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد فنستطيع أن نضع لهذا المقال عنوانًا يدور حوله ألا وهو (ماذا بعد السقوط)؛ أي: ماذا حدث للمسلمين في الأندلس بعد سقوط غرناطة آخر معاقل المسلمين هناك.

ويعلم القاصي والداني أنه بسقوط غرناطة انطفأت شمس حضارة المسلمين في الأندلس التي أضاءت العالم بأَسْره على مدى قرون، وقد أشرنا إلى ذلك في مقالين سابقين، وفي المقال الثاني ذكرنا أسباب السقوط، وهي أهم الدروس المستفادة؛ لأنها تتكرر في كل زمانٍ ومكان، وهي من سنن الله التي لا تتخلف هبوطًا وصعودًا مع كل أمة، ولذلك سنلخصها الآن قبل الحديث عن(ماذا بعد السقوط).

أولًا: تلخيص لعوامل وأسباب السقوط:

١- الإغراق في الترَّف، والركون إلى الدنيا وشهواتها.

٢- ترك الجهاد في سبيل الله، وهو نتيجة حتمية للإغراق في الترف.

٣- الجرأة على الله ودينه بالإسراف في المعاصي وشيوعها.

٤- الفرقة والتشرذم وموالاة غير المسلمين؛ ومعاداة المسلمين والتباغض بينهم.

٥- توسيد الأمر لغير أهله.

٦- الجهل بالدين.

◆

ونحن نستطيع أن نلخِّص هذه العوامل في عامل واحد ألا وهو (ترك الاحتكام إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم).

وهنا أذكِّر القارئ الكريم بحديثين من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم:

الأول رواه ابن ماجه وغيره وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٠٦) وهو من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال صلى الله عليه وسلم: "يا معشر المهاجرين: خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى

يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخِذُوا بالسنين وشدة المؤنة وجَـوْرِ السلطان، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا مُنِعُوا القَطْر من السماء، ولـولا البهائم لم يُمْطَروا، ولم يَنقضُوا عهد الله وعهد رسوله؛ إلا سلَّط الله عليهم عدوًّا من غيرهم؛ فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكُمْ أئمتُهم بكتاب الله، ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم".

وقد استدل الإمام ابن القيم بهذا الحديث في الداء والدواء على خطورة المعاصي.

والحديث الثاني: رواه أبـو داود عن ابـن عمر أيضًا وصححه الألباني برقم (١١) في السلسلة الصحيحة: قـال صلى الله عليه وسلم: "إذا تبايعتم بالعِينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد سلَّط الله عليكم ذُلًّا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم"؛ فمصدر ذلِّ الأمة في الانغماس في الدنيا وترك الجهاد؛ وليس في تربية الماشية والعمل بالزراعة ، وإنما المشكلة في ترك الجهاد. والعلاج كما بيَّنه النبي صلى الله عليه وسلم: "حتى ترجعوا إلى دينكم".

ثانيا: ماذا بعد سقوط غرناطة؟

الآن بعد هذه المقدمة نستطيع أن نرى ماذا حدث للمسلمين في الأندلس بعد سقوط غرناطة بعد أن تنازل الملك محمد الصغير للملكين فرناندو الخامس وإيزابيلا عن مقر الحكم، وعن قصر الحمراء أهم المعالم الإسلامية في غرناطة، مقابل عهود قطعوها على أنفسهم وبمباركة بابا روما (الفاتيكان) قطع الإسبان النصارى على أنفسهم؛ هذه العهود التي ينقلها لنا صاحب كتاب (دولة الإسلام في الأندلس) عن المقري فيقول: "ثم عـددوا مطالب وشروطًا أرادوها بمباركة صاحب رومـا، وكانت الشروط سبعة وستين؛ منها تأمين الصغير والكبير في النفس والأهل والمال، وإبقاء الناس في أماكنهم ودورهم وعقارهم ورباعهم؛ ومنها لإقامة شريعتهم على ما كانت، ولا يحكم أحد عليهم إلا بشريعتهم، وأن تبقى المساجد كما كانت والأوقاف كذلك، وأن لا يدخل النصارى دار مسلم، وألا يغصبوا أحدًا وألا يولَّى على المسلمين إلا مسلم أو مَن يتولى من قِبَل سلطانهم أن يطلق سراح جميع أسرى المسلمين، وألا يُؤخذ أحد بذنب أحد، وألا يُكره أحد من المسلمين على ترك دينه... ".

إلى آخر الشروط التي تضمن الأمن والأمان للمسلمين وحرية أداء الشعائر وممارستها دون مضايقة من جانب نصارى الإسبان. فهل تحقق شيء من ذلك؟ هذه أبسط حقوق الإنسان.. هل يوفي النصارى بعهودهم التي قطعوها على أنفسهم؟ أم ماذا حدث؟

يجيب عن هذا السؤال صاحب كتاب (قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط) فيقول: "لم يُوَفِّ النَّصارى بعهودهم مع المسلمين، بل تنكَّروا لكل ما قالوه، وبعد تسع سنوات من سقوط غرناطة، وفي سنة (١٠٥١م) أصـدر الملكان فرناندو الخامس وإيزابيلا أمرًا كان خلاصته أنه لما كان الله قد اختارهما لتطهير مملكة غرناطة من الكفرة (المسلمين)؛ فإنه يُحْظَر وجود المسلمين فيها، فإذا كان فيها بعضُهم فإنه يُحظر عليهم أن يتصلوا بغيرهم؛ خوفًا أن يتأخر تنصيرهم أو بأولئك الذين تنصروا لئلا يفسدوا إيمانهم، ويعاقب المخالفون بالموت أو بمصادرة الأموال".

وقد ترتب على ذلك أمور عظام، كان منها:

١- التنصير والتهجير: من خرج وهاجر من البلاد فقد نجا بنفسه ودينه، ومن بقي فلا يمكن أن يبقى مسلمًا بل لا بد أن يتنصَّر.

ويقول المقري صاحب (نفح الطيب): "وهؤلاء لم يرتض لهم النصارى الإسبان بالنصرانية، فلـم يـتركـوهـم دون إهـانـة، وقـد سموهم (بالموريسكيين)؛ احتقارًا لهم، وتصغيرًا من شأنهم فلم يكن الموريسكي نصرانيًّا من الدرجة الأولـى؛ لكنه كـان تصغيرًا لهذا النصراني الأصيل".

وينقل لنا الدكتور الدجاني عن الدوق لورنتي

مؤرخ ديوان التحقيق الإسباني (محاكم التفتيش) وثيقة من أغرب الوثائق القضائية؛ تضمنت طائفة من القواعد والأصول للتعامل بها مع العرب المتنصرين في تهمة الكفر والمروق (يعتبر الموريسكي أو العربي المتنصر قد عاد إلى الإسلام في الحالات الآتية: "إذا امتدح دين محمد أو قال: إن يسوع المسيح ليس إلهًا وليس إلا رسولًا، أو أن صفات العذراء أو اسمها لا تناسب أمه. ويجب على كل نصراني أصيل أن يبلغ عن ذلك. ويجب عليه أن يبلغ أيضًا عما إذا كان قد رأى أو سمع أن أحدًا من الموريسكيين يباشر بعض العادات الإسلامية؛ ومنها أن يأكل اللحم يوم الجمعة، وأن يحتفل يوم الجمعة بأن يرتدي ثيابًا أنظف من ثيابه العادية، أو أن يستقبل المشرق قائلًا باسم الله، أو يوثق أرجل الماشية قبل ذبحها، أو يرفض أن يأكل لحمًا لم تُذْبح (تُزَكى) بالطريقة الإسلامية، أو يختن ولده أو يسميهم بأسماء عربية أو يقسم بآيات القرآن، أو يصوم رمضان ويتصدق خلاله، أو لا يأكل ولا يشرب إلا عند الغروب، أو يتناول الطعام قبل الفجر (السحور)، أو يمتنع عن أكل الخنزير وشرب الخمر أو يقوم بالوضوء والصلاة، بأن يوجه وجهه نحو الشرق، ويركع ويسجد ويتلو سور القرآن". اهـ مختصرًا (من كتاب دولة الإسلام في الأندلس).

٢ - محاكم التفتيش:

ويحدثنا الأستاذ شوقي أبو خليل في كتاب (مصرع غرناطة) عن لون آخر من العذاب الذي تشيب له الولدان وتقشعر منه الجلود فيقول: " لم يقف الأمر عند حدّ التهجير والتنصير الذي مُورِسَ ضد المسلمين إنما أعقب ذلك أن قام الكردينال الإسباني كمنسي بحرق ثمانين ألف كتاب جُمِعَت من غرناطة وما جاورها في يوم واحد"، ثم يواصل حديثه قائلا: "ثم أنشأ الإسبان بعد ذلك ما عُرِفَ في التاريخ بمحاكم التفتيش؛ وذلك للبحث عن المسلمين الذين ادعوا النصرانية، وأخفوا الإسلام؛ كأن يجدوه يصلي أو وجدوا في بيته مصحفًا أو كان لا يشرب الخمر، أقاموا عليه الحدود المغلظة، فكانوا يلقون بهم في السجون، ويعذبونهم عذابًا لا يخطر على بال بشر، فكانوا يملؤون بطونهم بالماء حتى الاختناق، وكانوا يضعون في أجسادهم أسياخًا محمية، وكانوا يسحقون عظامهم بآلات ضاغطة، وكانوا يمزقون الأرجل، ويفسخون الفك، وكانوا يضعونهم في معلقة بها مسامير حديدية ضخمة تنغرس في جسم المعذَّب بل كانوا يقطعون ألسنتهم بآلات خاصة ويقومون بدفنهم أحياء.

ولم يكتف نصارى إسبانيا بمحاكمة الأحياء من المسلمين، بل حاكموا الأموات أيضًا فكانوا ينبشون قبورهم ويستخرجون رفاتهم ويحرقونه، وكانوا يصادرون أموالهم، بل كانت تتعدى العقوبة إلى أبنائهم وأسرهم فيقضى بحرمانهم من تولي الوظائف العامة، وامتهان بعض المهن الخاصة" (انظر: محمد عبدالله عنان - دولة الإسلام في الأندلس ٣٣٨/٧).

ثالثا: وشهد شاهد من أهلها:

ينقل لنا الأستاذ علي مظهر في كتاب "محاكم التفتيش" شهادة أحد ضباط الحملة الفرنسية، والتي توجهت إلى هناك بأوامر من نابليون بونابرت حيث أصدر مرسومًا سنة (١٨٠٨م) مع حملته المتوجهة إلى إسبانيا في ذلك التاريخ بإلغاء (دواوين التفتيش - محاكم التفتيش) التي كانت مضرب المثل في القهر والظلم والتعذيب، وهذه شهادة الكولونيل لبموتسكي أحد ضباط الحملة الفرنسية يقول: "وهبطت على درج السلم -تحت الأرض- يتبعني سائر الضباط والجنود شاهرين سيوفهم حتى وصلنا إلى آخر الدرج فإذا نحن في غرفة كبيرة مرعبة، وهي عندهم قاعة المحكمة في وسطها عمود من الرخام، به حلقة حديدية ضخمة، وربطوا بها سلاسل من أجل تقييد المُحَاكَمين بها. وأمام هذا العمود كانت المصطبة التي يجلس عليها رئيس المحكمة والقضاة لمحاكمة الأبرياء، ثم توجهنا إلى غرفة التعذيب وتمزيق الأجساد البشرية والتي امتدت على مسافات كبيرة تحت الأرض".

ويواصل الكولونيل حديثه فيقول: "رأيت في هذه الغرف ما يستفز نفسي، ويدعوني إلى القشعريرة والتقزز طوال حياتي. رأينا غرفًا صغيرة في حجم الإنسان مصنوعة من الحديد بعضها عمودي، وبعضها أفقي فيبقى سجين الغرف العمودية واقفًا على قدمه حتى يموت، ويبقى سجين الغرف الأفقية ممددًا حتى يموت، وتبقى الجثث في السجن الضيق حتى تبلى ويتساقط اللحم عن العظم، وتأكله الديدان، ولتصريف الروائح المنبعثة من جثث الموتى فتحوا نوافذ صغيرة إلى الفضاء الخارجي.

وقد عثرنا في هذه الغرف على هياكل بشرية مازالت في أغلالها.

كان السجناء رجالًا ونساءً تتراوح أعمارهم ما بين الرابعة عشرة إلي السبعين، وقد استطعنا إنقاذ عددًا من السجناء الأحياء، وتحطيم أغلالهم، وهم في الرمق الأخير من الحياة، كان بعضهم أصابه الجنون من كثرة ما صبُّوا عليهم من العذاب، وكان السجناء جميعًا عرايا، حتى اضطر جنودنا إلى خلع أرديتهم ويستروا بها بعض السجناء، وأخرجناهم إلى النور تدريجيًا حتى لا تذهب أبصارهم، وكانوا يبكون فرحًا، وهم يقبلون أيدي الجنود وأرجلهم الذين أنقذوهم من العذاب الرهيب، وأعادوهم إلى الحياة، كان مشهدًا تبكي منه الصخور".

ويواصل الكولونيل حديثه فيقول: "ثم انتقلنا إلى غرف أخرى فرأينا فيها ما تقشعر منه الأبدان، عثرنا على آلات رهيبة للتعذيب؛ منها آلات لتكسير العظام، وسحق الجسم البشري كانوا يبدؤون بسحق عظام الأرجل ثم عظام الصدر والرأس واليدين تدريجيًا حتى يُهشم الجسم كله، ويخرج من الجانب كتلة من العظام المسحوقة والدماء الممزوجة باللحم المفروم، وهكذا كانوا يفعلون بالسجناء الأبرياء المساكين".

أكتفي بهذا القدر من شهادة هذا الرجل الذي استنكر هو ومن معه هذه الجرائم البشعة التي تستنكرها الفطرة الإنسانية السليمة وتأباها شرائع الحق، وتأمل كيف كان يردد الرجل كلمة الأبرياء؛ فالذين يُمَارَس معهم هذا العذاب البشع لم يرتكبوا جرمًا ضد أحد ولم تكن جريمتهم سوى أنهم قالوا "ربنا الله".

والمؤسف أن هذه الجرائم كانت تتم في أقبية الأديرة والكنائس وتحت الأرض؛ أي: كان يتم تنفيذ هذه المجازر في أماكن المفترض أنها للعبادة، وكان يقوم بها القساوسة والرهبان باسم الدين وباسم يسوع المسيح، والله والمسيح بريئان من هذه الوحشية وهذا التعصب البغيض، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والحمد لله على نعمة الإسلام الذي هو الصراط المستقيم، ونعمة بعثة النبي الأميّ الذي أرسله الله رحمة للعالمين.

والذي ذكرته عن محاكم التفتيش وعن ما حدث للمسلمين قليل جدًّا ومختصر لما ذُكِرَ في كتب النصارى قبل المسلمين، فأين هذا من الإنسانية، ومن مراعاة حقوق الإنسان فضلاً عن سماحة الإسلام التي تحتاج إلى مقالات كثيرة لشرح بعض مظاهرها، ويشهد بذلك الأعداء قبل الأصدقاء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،

عزاء واجب

توفي إلى رحمة الله تعالى فضيلة الشيخ محمد عبد المجيد عرفة تعلب، الرئيس السابق لفرع أنصار السنة بكمشيش بمحافظة المنوفية، يوم الجمعة الموافق ١٢ جمادى الأولى ١٤٤٠هـ، ١٨/١/٢٠١٩م عقب أدائه صلاة العشاء.

نسأل الله له المغفرة والرحمة ولأهله الصبر والسلوان.

ضوابط في الترفيه المشروع والممنوع

إعداد **جمال عبد الرحمن**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه. وبعد:

فإن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان، وهو الأعلم بمن خلق، وبما أودع فيه من فطرة وغريزة، وفجور وتقوى، وهو الأعلم سبحانه بأدواء هذه النفوس وآفاتها، وما تحبّه وما تكرهه في كل أطوار حياتها، كذلك فهو الأعلم جل وعلا بما يصلحها وما يفسدها، لذا كان لزامًا لمن أراد أن يورد نفسه موارد السعادة دنيا وآخرة؛ أن يتحرى منهج الصانع سبحانه القيوم القائم على كل نفس بما كسبت.

ومنِ أراد الترفيه عن نفسه فلا مانع إذا كان منضبطا بأحكام الشريعة.

معنى الترفيه:

قال ابن منظور: «والإرفاه: الادهان، والترجيل كل يوم، وفي الحديث: أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن الإرفاه؛ وهو كثرة التدهن والتنعم، وقيل: التوسع في المطعم والمشرب.. والإرفاه: التنعم، والدعة، ومظاهرة الطعام على الطعام، واللباس على اللباس، فكأنه نهى عن التنعم والدعة ولين العيش؛ لأنه من فعل العجم وأرباب الدنيا، وأمَر بالتقشف وابتذال النفس. والرفه، بالكسر: أقصر الورْد وأسرعه، وهو أن تشرب الإبل الماء كل يوم، وقيلَ: هو أن ترد كلما أرادت. (لسان العرب: ١٣/ ٤٩٢). يعني: لا تكن مثل هذه الإبل، كلما اشتهيتَ فعلْتَ.

ورفَّه عن نفسه: نفَّس، خفَّف، أزال عنها الضيق والتعب. (معجم اللغة العربية المعاصرة: ٢/ ٩٢١).

الترفيه في السُّنَّة وعند الصحابة:

إن الإسلام يُقوِّم الأعمار للإنسان في هذه الحياة الدنيا بأنها أغلى وأسمى من أن تضيع أيامه وفقراته بين لهو سخيف وعبث لا قيمة له، ولعب هو باطل لا يأتي من ورائه منافع دنيوية مهمة، ولا منفعة في الآخرة منقذة، فالعمر مسؤولية على عاتق المسلم وأمانة في عنقه يحاسبه الله تعالى عليها يوم القيامة.

وهذا ما دفَع الصحابي الجليل معاذ بن جبل رضي الله عنه للقول: «إني أحتسب نومتي كما أحتسب قومتي». (صحيح البخاري: ٤٣٤١).

وكذا ورد عن أبي الدرداء رضي الله عنه قوله: «إني لأستجم لقلبي بالشيء من اللهو، ليكون أقوى لي على الحق». (مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٨/٢٦٨، وانظر شرح السنة للبغوي ١٢/١٨٤). ويعني هذا أن الترويح يمكننا أن نجعل له بُعدًا تعبديًّا إذا احتسبه صاحبه قُرْبَة إلى

الله، أو ليتقوّى العبد به على طاعة مولاه عز وجل. ومن هنا يستطيع الإنسان أن يُحوِّل جميع حياته لله رب العالمين الذي قال في كتابه الكريم: «قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ» (الأنعام: ١٦٢-١٦٣).

وقد ثبت أن رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم قال: «وفي بُضْع أحدكم صدقة»، قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ فقال: «أرأيتم لو وضعها في الحرام، أليس كان يكون عليه وزر؟ قالوا: بلى، قال: فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر» (صحيح مسلم ١٠٠٦).

ومن هنا قال علي رضي الله عنه: «أَجِمُّوا هذه القلوب، والتمسوا لها طرائف الحكمة، فإنها تَمَلّ كما تَمَلّ الأبدان». (شرح السنة ١٢/ ١٨٤).

قال بكر بن عبد الله المزني عن الصحابة: «كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يتبادحون بالبطيخ، فإذا كانت الحقائق كانوا هم الرجال» (رواه البخاري في الأدب المفرد، وصححه الألباني).

و«يتبادحون»: يعني يترامون.

كما أكّدت السنة مبدأ الترويح والترفيه في الإسلام، ومن ذلك ما ورد في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: « يا عبد الله! ألم أُخْبَرْ أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟» قال: بلى يا رسول الله، قال: «فلا تفعل، صُمْ وأفطر، وقُمْ ونَمْ، فإنَّ لجسدك عليك حقًّا، وإن لعينك عليك حقًّا، وإن لزوجك عليك حقًّا» (رواه البخاري).

وجاء في السنة النبوية عن عائشة رضي الله عنها قالت: «والله لقد رأيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقوم على باب حجرتي والحبشة يلعبون بحرابهم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويسترني بردائه لكي أنظر إلى لعبهم، ثم يقوم من أجلي حتى أكون أنا التي أنصرف، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن حريصة على اللهو» (رواه البخاري ٥١٩٠، ومسلم ٨٩٢)، وفي رواية المسند ورد قول النبي صلى الله عليه وسلم في آخر الحديث: «لتعلم اليهود أن في ديننا فسحة، وإني أرسلت بالحنيفية السمحة». (البخاري ومسلم).

وعن عائشة رضي الله عنها أنها كانت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر قالت: فسابقته فسبقته على رجلي، فلما حملت اللحم، سابقته فسبقني فقال: «هذه بتلك» (رواه أبو داود وصححه الألباني).

اللهو المباح واللهو الحرام:

إن الترفيه واللهو منه ما يباح ومنه ما يحرم: أما المباح منه؛ فهو ما رواه حنظلة الأسيدي؛ قال: «لقيني أبو بكر، فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قلت: نافق حنظلة، قال: سبحان الله! ما تقول؟ قال: قلت: نكون عند رسول الله يذكرنا بالنار والجنة، حتى كأنا رأي عين؛ فإذا خرجنا من عند رسول الله؛ عافسنا (خالطنا) الأزواج والأولاد والضيعات، فنسينا كثيرًا، قال أبو بكر: فوالله؛ إنا لنلقى مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله قلت: نافق حنظلة يا رسول الله! فقال رسول الله: «وما ذاك؟»، قلت: يا رسول الله! نكون عندك؛ تذكرنا بالنار والجنة، حتى كأنا رأي عين؛ فإذا خرجنا من عندك؛ عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، فنسينا كثيرًا! فقال رسول الله: «والذي نفسي بيده؛ إنكم لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن؛ يا حنظلة! ساعة وساعة؛ ثلاث مرات». (رواه البخاري).

وليس المراد بقوله: «ساعة وساعة» أنه يطيع ساعة ويعصي أخرى؛ كما قد يفهم بعض الناس! ولكن ساعة يلهو بلهو مباح؛ كما هو ظاهر في بقية الحديث.

ومما يدل على اللهو المباح ما رواه عقبة بن عامر رضي الله عنه؛ أن رسول الله قال: «كل ما يلهو به الرجل المسلم فهو باطل؛ إلا رميه بقوسه، أو تأديبه فرسه، أو ملاعبته أهله؛ فإنهن من الحق» (رواه الترمذي، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٣١٥).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: قوله: فهو باطل. أي مما لا ينفع الناس، فإن الباطل ضد الحق، والحق يراد به الحق الموجود اعتقاده والخبر عنه، ويراد به الحق الذي ينبغي أن

يُقصد وهو الأمر النافع، فما ليس من هذا فهو باطل ليس بنافع.

ففي هذا الحديث دليل على أن كل لهو يلهو به ابن آدم باطل ممنوع، ما عدا هذه الثلاثة التي استثناها رسول الله فإنها من الحق، أو وسيلة إليه.

قال الخطابي: وإنما استثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الخلال من جملة ما حرم لأن كل واحدة منها إذا تأملتها وجدتها معينة على حق أو ذريعة إليه، وأما سائر ما يتلهى به البطالون من أنواع اللهو كالنرد والشطرنج والمزاجلة بالحمام وسائر ضروب اللعب مما لا يستعان به في حق ولا يستجم به لإدراك واجب فمحظور كله». (معالم السنن ٢/٢٤٢).

وفي هذا بيان أن جميع أنواع اللهو محظورة».

ضوابط الترويح:

مما تقدَّم يتَّضح لنا أن الترويح والترفيه ينبغي أن ينضبط بالضوابط الآتية:

١- النية والاحتساب في الترويح؛ لقول معاذ رضي الله عنه: «إني أحتسب نومتي كما أحتسب قومتي». (البخاري ومسلم).

٢- اختيار الرفقة أثناء الترويح: لقول النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَثَل الْجليس الصَّالح وَالسَّوْءِ كَحَامل الْمسْك وَنَافخ الْكير؛ فَحَامل الْمسْكَ إمَّا أَنْ يُحْذيَكَ، وَإمَّا أَنْ تَبْتَاعَ منْهُ، وَإمَّا أَنْ تَجدَ منْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافخُ الْكير إمَّا أَنْ يُحْرقَ ثيَابَكَ، وَإمَّا أَنْ تَجدَ ريحًا خَبيثَةً» (متفق عليه).

٣- اختيار أوقات الترفيه: ينبغي للمسلم أن ينظم وقته بين العمل واللهو، والجد واللعب، فلا يعتدي على الوقت الذي هو حق لله تعالى؛ كوقت الصلوات المفروضة، أو أن يغفل عن ذكر الله في أوقات هو أحوج ما يكون فيها إلى القرب من ربه؛ كإهدار ساعات الليل كلها في السَّمر واللَّهو، فلا هو في نوافل العبادات قضاها، ولا لأوامر واجبة أحياها؛ وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك؛ فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «وَالَّذي نَفْسي بيَده؛ لَيَبيتَنَّ أُنَاسٌ منْ أُمَّتي عَلَى أَشَر وَبَطَر وَلَعب وَلَهو؛ فَيُصْبحُوا قرَدَةً وَخَنَازيرَ، باسْتحْلَالهمُ الْمَحَارمَ وَاتِّخَاذهمُ الْقَيْنَات، وَشُرْبهمُ الْخَمْرَ، وَبِأَكْلِهمُ الرِّبَا، وَلُبْسهمُ الْحَرِيرَ» (رواه عبدالله في زوائده على المسند وحسنه الألباني في صحيح الترغيب ١٨٦٤).

٤- اجتناب اختلاط الرجال بالنساء:

النساء هي الفتنة التي حذر منها النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: «مَا تَرَكْتُ بَعْدي فتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَال منَ النِّسَاء» (متفق عليه). وإن كان أكثر ما يشير إليه الحديث هنا هو النساء الأجنبيات إلا أن ذلك لا يعني أيضًا أن ينعزل الرجل عن بقية أهله، أو المرأة عن محارمها في الترفيه والترويح؛ إنما عليهم أن يراعوا حرمات الله، كما علمنا النبي صلى الله عليه وسلم؛ فأنت تراه يُلاعبُ أهله ويمازحهم ويروِّحُ عنهم، ولكن يفعل ذلك بكل خصوصية؛ فقد كان عليه الصلاة والسلام يسابق زوجه عائشة رضي الله عنها، بعد أن يأمر الجيش بالمُضيِّ والسَّبق». (رواه أبو داود وصححه الألباني).

٥- أن يكون وقت الترفيه استثناءً وليس كل الوقت:

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تَزُولُ قَدَمَا ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقيَامَة منْ عنْد رَبِّه حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْس: عَنْ عُمْره فيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابه فيمَا أَبْلَاهُ، وَمَاله منْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفيمَ أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَملَ فيمَا عَلمَ» (رواه الترمذي وهو في السلسلة الصحيحة ٩٤٦).

٦- أن لا يكون في الترفيه إيذاءٌ للشخص أو لغيره:

كإيذاء الأبدان في الملاكمة وغيرها، ولا يكون فيها اعتداء على طرقات الناس وأماكن سيرهم ومجالسهم. فعن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ آذَى الْمُسْلمينَ في طُرُقهمْ، وَجَبَتْ عَلَيه لَعْنَتُهُمْ» (رواه الطبراني في الكبير وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٥٩٢٣).

٧- أن تكون وسيلة الترويح مشروعة:

فلا يجوز إذا كانت الوسيلة محرمة؛ كالضحك والسخرية من الآخرين، أو الاستهزاء بهم، أو ترويعهم، أو استعمال آلات اللهو والطرب للترويح عن النفس.

نسأل الله أن يفقهنا في ديننا ويصلح جميع أحوالنا ويتولى أمرنا، والحمد لله رب العالمين.

تحذير الداعية من القصص الواهية

الحلقة (٢٢٤)

قصة خاتم علي بن أبي طالب رضي الله عنه

إعداد **علي حشيش**

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ والمفسرين، ومما ساعد على انتشارها وجودها في كتب السنة الأصلية وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

أولاً: أسباب ذكر هذه القصة:

السبب الأول: من أسباب البحث في هذه القصة «قصة خاتم علي بن أبي طالب رضي الله عنه» هي وجودها في كثير من كتب التفاسير بل وفي كتب السنة الأصلية- كما سنبين في بحثنا هذا- مما أدى إلى اشتهارها وانتشارها.

السبب الثاني: جعلوا من هذه القصة الواهية سببًا لنزول الآية (٥٥) من سورة المائدة في قوله تعالى: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ» **(المائدة: ٥٥).**

ومن التفاسير التي جعلت هذه القصة سببًا لنزول هذه الآية على سبيل المثال لا الحصر:

١- «تفسير الطبري» (ح١٢٢١٥، ١٢٢١٦، ١٢٢١٧، ١٢٢١٨، ١٢٢١٩) المسمى «جامع البيان في تأويل القرآن».

٢- «تفسير ابن أبي حاتم» (ح٦٥٤٧، ٦٥٤٨، ٦٥٤٩) المسمى «تفسير القرآن العظيم».

٣- «تفسر الثعلبي» (٤/٨٠، ٨١) المسمى «الكشف والبيان عن تفسير القرآن» لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي المتوفى ٤٢٧هـ.

٤- «تفسير البيضاوي» (١٣٢/٢) المسمى «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» لأبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي المتوفى ٦٨٥هـ.

٥- «تفسير النيسابوري» (٦٠٥/٢) المسمى «غرائب القرآن ورغائب الفرقان» للحسين

بن محمد بن حسين النيسابوري المتوفى سنة ٨٥٠هـ.

٦- «تفسير الزمخشري» (٦٤٩/١) المسمى «االكشاف عن حقائق غوامض التنزيل» لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري المتوفى (٥٣٨هـ).

٧- «تفسير الرازي» (٣٨٣/١٢) المسمى «مفاتح الغيب» لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي المتوفى ٦٠٦هـ.

٨- «تفسير أبي حيان» (٥٢٥/٣) ط. دار الفكر ببيروت، المسمى «البحر المحيط» لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيان الأندلسي المتوفى ٧٤٥هـ.

٩- «تفسير القرطبي» (٥٧٠/٣) المسمى «الجامع لأحكام القرآن» لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي المتوفى ٦٧١هـ ط. دار الغد.

١٠- «تفسير النسفي» (٤٥٦/١) المسمى «مدارك التنزيل وحقائق التأويل» لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي المتوفى ٧١٠هـ.

١١- «تفسير ابن عطية» (٢٠٨/٢) المسمى «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» لأبي محمد بن عبد الحق غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي المتوفى ٥٢٤هـ.

١٢- «تفسير الماوردي» (٧/٣) المسمى «النكت والعيون»، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير بالماوردي، المتوفى ٤٥٠هـ.

١٣- «تفسير ابن كثير» (٨٥/٣) المسمى «تفسير القرآن العظيم» لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن درع القرشي الدمشقي لقبه عماد الدين ولكن اشتهر بلقب ابن كثير المتوفى ٧٧٤هـ.

١٤- «تفسير الشوكاني» (٦١/٢) المسمى «فتح القدير» لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني المتوفى ١٢٥٠هـ.

١٥- «فتح الرحمن في تفسير القرآن» (٣١٣/٢) لمجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي المتوفى ٩٢٧هـ.

١٦- «الدر المنثور في التفسير بالمأثور» (٢٩٣/٢)، لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي المتوفى ٩١١هـ.

١٧- «حاشية الطيبي على الكشاف» (٤٠٠/٥) المسماة «فتوح الغيب للكشف عن قناع الرَّيب» لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي المتوفى ٧٤٣هـ.

١٨- «تفسير الألوسي» (١٦٧/٦) المسمى «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني» لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي المتوفى ١٠٧٢هـ.

١٩- «تفسير أبي السعود» (٥٢/٣) المسمى «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم» لأبي السعود العمادي محمد محمد بن مصطفى المتوفى ٩٨٢هـ.

٢٠- «تفسير مقاتل بن سليمان» (٤٨٦/١) لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأسدي البلخي المتوفى ١٥٠هـ.

قلت: لقد ذكرت عشرين تفسيرًا من التفاسير المشهورة كلها ذكرت قصة «خاتم علي بن أبي طالب»، وأنها سبب نزول الآية رقم (٥٥) من سورة المائدة.

السبب الثالث: هو اتخاذ

الشيعة هذه القصة دليلاً أساسيًا على ولاية وإمامة علي بن أبي طالب متعلقين بسبب نزول الآية: «إنما وليكم...» (المائدة: ٥٥).

وانتشر هذا الدليل في معظم كتب الشيعة محتجين بأنه في مصادر أهل السنة، وانتشر في تفاسيرهم.

وعلى سبيل المثال عند الشيعة قال ناصر مكارم الشيرازي في كتابه: «الأمثلة في تفسير كتاب الله المنزل» (٤/٤٥، ٥٦): «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ» قال: «إن الآية تعتبر نصًا قرآنيًا يدل على ولاية وإمامة علي بن أبي طالب للمسلمين، فالكثير من الكتب الإسلامية ومصادر أهل السنة تشتمل على العديد من الروايات القائلة بنزول هذه الآية في شأن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وقد ذكرت بعض هذه الروايات قضية تصدق الإمام علي عليه السلام بخاتمه على السائل وهو في حالة الركوع».

ثم قال: «ونقلت كتب جمهور أهل السنة هذه الرواية عن علي بن أبي طالب وقد تجاوز عدد الكتب التي أوردت هذه الروايات الثلاثين كتابًا كلها من تأليف علماء أهل السنة». اهـ.

قلت: من أجل هذا كان لا بد من تخريج طرق هذه القصة وتحقيقها لنبين عدم صحتها، وندحض حجة الشيعة ونبين عارها ونكشف عوارها.

ثانيًا: التخريج والتحقيق:

١-أخرج الإمام الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري في كتابه «معرفة علوم الحديث» (ص١٠٢) في ذكر النوع (٢٥) من علم الحديث في «معرفة الأفراد» النوع الثالث من الأفراد قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار، قال: حدثنا أبو يحيى عبد الرحمن بن محمد بن سلام الرازي بأصبهان، قال: حدثنا محمد بن يحيى بن الضريس قال: حدثنا عيسى بن عبد الله بن عبيد الله بن عمر بن علي بن أبي طالب قال: حدثنا أبي عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب قال: «نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ» (المائدة: ٥٥)، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل المسجد، والناس يصلون بين راكع وقائم يصلي فإذا سائل، قال: أعطاك أحدٌ شيئًا؟ فقال: لا، إلا هذا الراكع- لعليّ- أعطاني خاتمًا».

قال الحاكم: هذا حديث تفرد به الرازيون عن الكوفيين، فإن ابن الضريس الرازي قاضيهم، وعيسى العلوي من أهل الكوفة. اهـ.

قلت: ومن طريق محمد بن يحيى الضريس أخرجه أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١هـ في كتابه «تاريخ دمشق» (٣٥٧/٤٢) ط. دار الفكر.

٢- وأخرج الإمام الحافظ الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٢٩/٧) (ح٦٢٢٨) قال: حدثنا محمد بن علي الصائغ قال: حدثنا خالد بن يزيد العمري، قال: حدثنا إسحاق بن عبد الله بن محمد بن علي بن حسين، عن الحسن بن زيد عن أبيه زيد بن الحسن، عن جده قال: سمعت عمار بن ياسر يقول: «وقف على علي بن أبي طالب سائل وهو راكع في تطوع فنزع خاتمه فأعطاه السائل، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعلمه ذلك، فنزل على النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية:

«إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ».

فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه».

قال الإمام الطبراني بعقبه: «لا يُروى هذا الحديث عن عمار بن ياسر إلا بهذا الإسناد، تفرد به خالد بن يزيد». اهـ.

قلت: فقصة «خاتم علي بن أبي طالب» والتي نزلت بسببها الآية من (سورة المائدة: ٥٥) سواء من الطريق الأول من حديث علي بن أبي طالب نفسه، أو من حديث عمار بن ياسر كما في الطريق الثاني، فهي من الغرائب والأفراد كما حكم بذلك الحاكم أبو عبد الله النيسابوري، والحافظ الطبراني.

وحكم هذه الغرائب التي تفرد بها ابن الضريس الرازي عن عيسى العلوي الكوفي كما في الطريق الأول وهو طريق غريب تفرد به عيسى بن عبد الله حيث قال: حدثنا أبي عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (١٢١/٢):

«عيسى بن عبد الله العلوي الكوفي من أهل الكوفة يروي عن أبيه عن آبائه أشياء موضوعة لا يحل الاحتجاج به كأنه كان يهم ويخطئ حتى كان يجيء بالأشياء الموضوعة عن أسلافه فبطل الاحتجاج بما رويه ولما وضعت». اهـ.

ثم ختم ترجمة عيسى بن عبد الله العلوي أحاديثه بهذا الإسناد «نسخة مكتوبة عند ميمونة». اهـ.

أما الطريق الثاني: فهو طريق غريب أيضًا، حيث قال الإمام الحافظ الطبراني: «لا يُروى هذا الحديث عن عمار بن ياسر إلا بهذا الإسناد، تفرد به خالد بن يزيد».

فهو طريق تالف مجاهيل، قال الإمام الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٧/٧) قال بعد أن أورد الحديث في قصة خاتم علي بن أبي طالب ونزول الآية: «رواه الطبراني في الأوسط وفيه من لم أعرفهم». اهـ.

قلت: هذا حال الغرائب من رواية الوضاعين، والمجاهيل، ولذا قال الإمام السيوطي في «تدريب الراوي» (١٨٢/٢):

١- قال أحمد بن حنبل: «لا تكتبوا هذه الأحاديث الغرائب فإنها مناكير وعامتها عن الضعفاء». اهـ.

٢- وقال أبو يوسف: «من طلب الدين بالكلام تزندق، ومن طلب غريب الحديث كذب». اهـ.

قلت: قال الإمام الحافظ ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية من حديث علي بن أبي طالب، ومن حديث عمار بن ياسر في «تفسيره» (٨٦/٣): «ثم رواه ابن مردويه من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه نفسه ومن حديث عمار بن ياسر وغيرهم، وليس يصح شيء منها بالكلية لضعف أسانيدها وجهالة رجالها».

ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية- في «منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة» (١١/٧): «قول الشيعة: قد أجمعوا على أن الآية نزلت في علي بن أبي طالب من أعظم الدعاوى الكاذبة، بل أجمع أهل العلم بالنقل على أنها لم تنزل في علي بخصوصه، وأن عليًا لم يتصدق بخاتمة في الصلاة، وأجمع أهل العلم بالحديث على أن القصة المروية في ذلك من الكذب الموضوع». اهـ.

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

الحلقة (٥٣)

قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله (الخبرية) و(الفعلية) على ظاهرها دون المجاز

أبو الحسن الأشعري: يُرسّخ في (مقالات الإسلاميين) لمعتقد أهل السنة وسلف الأمة، ويُؤكّد في (رسالته لأهل الثغر) على أن المرجعية في باب الصفات هي نصوص الوحي.. لا الفلسفة التي لا يزال الأشاعرة يقرنونها بعقيدة المسلمين، ولا العقل القاصر عن إدراك ذاته سبحانه وصفاته

إعداد **د. محمد عبد العليم الدسوقي**
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فإنه وعلى غرار ما سبق أن نقلناه عن الأشعري من كتابه (الإبانة) في الحلقة (٤١)، من اعتقاد أن من لوازم الإيمان بالرسالة: الإيمان بصاحبها، وأن ذلك يستوجب: تنفيذ أمره، وكذا تصديق خبره وبخاصة في أمور الغيب التي منها: الإخبار عن ذات الله وصفاته وأفعاله.. وأن يكون المرجعية في معرفة ذلك والتعويل ”فيما اختلفنا فيه: على كتاب الله وسنة رسوله، ولا نبتدع في دين الله ما لم يأذن به لنا“.. فقد فعل الشيء ذاته في مقدمة رسالته إلى أهل الثغر، وكان مما قاله فيها مخاطبًا إياهم:

أ- الأشعري يؤكد في رسالة أهل الثغر على أن المرجعية في باب الصفات نصوص الوحي:

”الحمد لله الذي حبب إلينا التمسك بالسنن الهادية، وجنبنا سبل البدع المُرْدية، وأعزنا بسلطان الدين، وجعلنا لرسوله متبعين وبإمامته معتصمين، ووهب لنا من أنس الجماعة ما زالت به عنا وحشة الشذوذ والبدع.. وصلى الله على محمد نبيه الداعي إليه، الذي أضاء الحق غالبًا منصورًا، فبلَّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وعلا بالحجة.. أما بعد:

فقد وقفتُ على ما التمستموه من ذكر الأصول التي عوّل سلفنا عليها، فبادرتُ بإجابتكم إلى ما سألتموه، وذكرتُ لكم جملاً من الأصول مقرونة بأطراف من الحِجَاج تدلكم على صوابكم في ذلك، وخطأ أهل البدع فيما صاروا إليه من مخالفتهم ومفارقتهم بذلك: الأدلة الشرعية وما أتى به الرسول منها، وموافقتهم بذلك: لطرق الفلاسفة والصادّين عنها والجاحدين لما أتت به الرسل منها“..

إلى أن قال: ”اعلموا أن الذي مضى عليه سلفنا ومَن اتَّبعهم من صالح خَلَفنا: أن الله بعث محمدًا عليه السلام إلى سائر العالمين وهم فرق متباينون، ليُنبههم جميعًا على حَدَثهم ويدعوهم إلى توحيد المُحْدِث لهم، ويبين لهم

طرق معرفته بما فيهم من آثار صنعته، ويأمرهم برفض كل ما كانوا عليه من سائر الأباطيل.. ثم زادهم تعالى في ذلك بيانًا بقوله: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ) (آل عمران/ ١٩٠)، فدلّهم على حَدَثها وحركاتها واختلاف هيئاتها.. ثم نبهنا على فساد قول الفلاسفة بالطبائع وما يدّعونه من فعل الأرض، والماء والنار، والهواء في الأشجار..

ثم نبَّه خلقه على أنه واحد باتساق أفعاله وترتيبها، وأنه لا شريك له فيها.. وكذلك قد أزاح نبينا بالقرآن علل الفصحاء من أهله، وقطع به عذرهم لمعرفتهم أنه خارج عما انتهت إليه فصاحتهم في لغاتهم، وأوضح لجميع من بُعث إليه فساد ما كانوا عليه بحجج الله وبيانه، حتى لم يبق لأحد منهم شبهة فيه، ولا احتيج إلى زيادة من غيره، ولو لم يكن ذلك كذلك لم يكن حجة على جماعتهم، ولا كانت طاعته لازمة لهم.. ثم دعاهم إلى معرفة الله وإلى طاعته فيما كُلِّف تبليغه إليهم.. ومعلوم عند سائر العقلاء أن: ما دعا النبي إليه مَن واجهه من أمته: مما لا يصح أن يُؤخر عنهم البيان فيه، وهم لا يختلفون في حَدَثهم ولا في توحيد المُحدث لهم وأسمائه وصفاته، وإنما تكلفوا البحث والنظر فيما كُلِّفوه من الاجتهاد في حوادث الأحكام عند نزولها بهم، وردها إلى معاني الأصول التي أوقفهم عليها، فكان منهم في ذلك ما نُقل إلينا من طريق الاجتهاد.

فأما ما دعاهم إليه من معرفة حَدَثهم والمعرفة بمحدثهم، ومعرفة أسمائه وصفاته، فقد بيّن لهم وجوه الأدلة في جميعه حتى امتنعوا عن استئناف الأدلة فيه، وبلّغوا جميع ما اتفقوا عليه من ذلك إلى مَن بعدهم، فكان عذرُ سائر مَن تأخر عنه مقطوع بنقلهم ذلك إليهم، ونقلُ أهل كل زمان حُجَّةٌ على مَن بعدهم، إذ كان من المستحيل أن يأتي بعد ذلك أحد بأهدى مما أتى به عليه السلام، وجميعُ ما اتفقوا عليه من الأصول مشهور في أهل النقل الذين عنوا بحفظ ذلك.

وإذا ثبت بالمعجزات صدقه، فقد عُلم صحة كل ما أخبر به، وصارت أخباره أدلة على صحة سائر ما دعانا إليه من الأمور الغائبة عن حواسنا، وكان ما يُستدل به من أخباره على ذلك أوضح من دلالة الأعراض التي اعتمد على الاستدلال بها الفلاسفة ومن اتّبعها من أهل البدع المنحرفين عن الرسل، من قِبَل أن الأعراض لا يصح الاستدلال بها إلا بعد رُتب كثيرة يطول الخلاف فيها ويدق الكلام عليها..

وليس يُحتاج في الاستدلال بخبر الرسول على ما ذكرناه من المعرفة بالأمر الغائب عن حواسنا إلى مثل ذلك، لأن آياته والأدلة الدالة على صدقه محسوسة مشاهدة.. فأخلد سلفنا ومن اتبعهم من الخلف الصالح إلى التمسك بالسنة وطلب الحقّ في سائر ما دُعوا إلى معرفته منها، والعدول عن كل ما خالفها، لثبوت نبوته عندهم وثقتهم بصدقه فيما أخبرهم به عن ربهم.. وأعرضوا عما صارت إليه الفلاسفة ومن اتبعهم من أهل البدع في الاستدلال بالأعراض والجواهر لدفعهم الرسل وإنكارهم لجواز مجيئهم.. وإذا كان العلم قد حصل لنا بجواز مجيئهم في العقول وغلط مَن دفع ذلك، لم يسع لمن عَرَف هذا أن يعدل عن طرق السلف إلى طرق من دفع الرسل وأحال مجيئهم.

فلما كان هذا واجبًا عند سلف الأمة، كان اجتهاد الخلف الصالح في طلب أخباره صلى الله عليه وسلم والاحتياط في عدالة الرواة لها: واجبًا عندهم، ليكونوا فيما يعتقدونه من ذلك على يقين، ولذلك كان أحدهم يرحل إلى البلاد البعيدة في طلب الكلمة تبلغه عن رسول الله حرصًا على معرفة الحق من وجهه، وطلبًا للأدلة الصحيحة فيه حتى تثلج صدورهم بما يعتقدونه، ويفارقوا بذلك مَن ذمه الله في تقليده لمن يعظمه في سادته بغير دلالة تقتضي ذلك.. ولمّا كلفهم الله ذلك حفظ أخباره في سائر الأزمنة، ومنع من تطرق الشُبه عليها.. وأكمل الله لجميعهم طُرق الدين وأغناهم عن التطلع إلى غيرها من البراهين.. وبيّن عليه السلام معنى ذلك في حجة الوداع لمن كان بحضرته عند اقتراب أجله بقوله: (اللهم هل بلغت؟).

فلو كنا نحتاج إلى ما رَتَّبه أهل البدع من طرق الاستدلال، لما كان مبلِّغًا، إذ كنا نحتاج في المعرفة بصحة ما دعانا إليه إلى علْم ما لم يبينه لنا من هذه الطرق التي ذكروها، ولو كان هذا كما قالوا لكان قوله بمنزلة اللغو، ولعارضه المنافقون في ذلك، ولكنهم لم يجدوا سبيلاً إلى الطعن، لأنه لم يدَع شيئًا مما تَهُم الحاجة إليه في معرفة سائر ما دعاهم إلى اعتقاده إلا وبيّنه لهم، ويزيد هذا وضوحًا قوله: (إني قد تركتكم على مثل الواضحة ليلها كنهارها).. وإذا كان هذا على ما رضينا، عُلم أنه لم يبق عتب لزائغ ولا طعن لمبتدع، إذ كان قد أقام الدين ولم يدع لسائر من دعاه إلى توحيد الله حاجة إلى غيره، ولا لزائغ طعنًا عليه.

ثم مضى عليه السلام محمودًا بعد إقامته الحجة وتبليغ الرسالة، حتى لم يحوج أحدًا من أمته البحث عن شيء قد أغفله هو مما ذكره لهم، أو معنى أسَرّه إلى أحد من أمته، بل قد قال: (إني خلفتُ فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا: كتاب الله وسنتي)، وإن فيهما الشفاء من كل أمر مُشكل، والبرء من كل داء معضل، وفي حراستهما من الباطل آية لمن نصح نفسه، ودلالة لمن كان الحق قصده.. فإذا كان ذلك على ما وصفْنا، فقد علمتم بُهت أهل البدع لأهل الحق في سوء اختيارهم في المفارقة لهم، والعدول عما كانوا عليه معهم وبالله التوفيق".

ثم أردف -رحمه الله- يقول: "وإذ قد بان استقامة طرق استدلال السلف وصحة معارفهم، فلنذكر ما أجمعوا عليه من الأصول التي نبهوا بالأدلة عليها، وأُمروا في وقت النبي بها"، وطفق يقول في (الإجماع الأول)، "اعلموا أن مما أجمعوا على اعتقاده مما دعاهم الرسول إليه ونبههم على صحته: أن العالَم بما فيه من أجسامه وأعراضه، مُحْدَث، لم يكن ثم كان، وأن لجميعه مُحْدثًا واحدًا أحدث جواهره وأعْرَاضه، وخالف بين أَجناسه، وأنه لم يزل قبل أن يخلقه واحدًا عالمًا قادرًا مريدًا متكلمًا، له الأسماء الحسنى والصفات العلا، وأنهم عرفوا ذلك بما نبههم الله عليه، وبيّن لهم وجه الدلالة فيه".. إلى آخر ما نص عليه من الإجماعات الواحدة والخمسين.

ب- ويرسخ في كتابه (مقالات الإسلاميين) لمعتقد سلف الأمة:

وفي هذا يحكي الأشعري جملة قول أهل السنة، فيقول في (مقالات الإسلاميين) ص٢٩٠ وما بعدها: "جملة ما عليه أهل الحديث والسنة: الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله، وما جاء من عند الله وما رواه الثقات عن رسول الله، لا يرُدُّون من ذلك شيئًا، وأنه سبحانه إله واحد، لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن الجنة حق والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور.. وأنه سبحانه على عرشه كما قال، وأن له يدين بلا كيف كما قال، وأن له عينين بلا كيف كما قال، وأن له وجهًا كما قال.

وقالوا: إنه لا يكون في الأرض من خير ولا شر إلا ما شاء الله، وقالوا: إن أحدًا لا يقدر أن يخرج عن علم الله أو أن يفعل شيئًا عَلم الله أنه لا يفعله، وأقروا أنه لا خالق إلا اللّه، وأن سيئات العباد وأعمال العباد يخلقها الله، وأنه سبحانه وفّق المؤمنين لطاعته وخذل الكافرين، ولطف بالمؤمنين ونظر لهم وأصلحهم وهداهم ولم يلطف بالكافرين وأراد أن يكونوا كذلك كما علم -يعني: اختيارهم ذلك.

ويؤمنون بقضاء الله وقدره، ويؤمنون أنهم لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا إلا ما شاء الله، ويُلجئون أمرهم إلى الله ويُثبتون الحاجة إليه في كل وقت، ويقولون: إن القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال باللفظ أو بالوقف فهو مبتدع عندهم، لا يقال: (اللفظ بالقرآن مخلوق) ولا يقال: (غير مخلوق)، ويقولون: إن الله يُرى بالأبصار يوم القيامة كما يُرى القمر ليلة البدر، يراه المؤمنون ولا يراه الكافرون لأنهم عن الله محجوبون.. وأن موسى سأل الله الرؤية في الدنيا، وأنه سبحانه تجلى للجبل فجعله دكًا، فأعلمه بذلك أنه لا يراه في الدنيا بل يراه في الآخرة.

ولا يُكَفِّرون أحدًا من أهل القبلة بذنب يرتكبه.. وهم -بما معهم من الإيمان- مؤمنون وإن ارتكبوا

الكبائر.. والإيمان عندهم، هو: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وبالقدر، وأن ما أخطأهم لم يكن ليصيبهم وما أصابهم لم يكن ليخطئهم، والإسلام، هو: أن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقرون بأن الله مقلب القلوب، ويقرون بشفاعة الرسول وأنها لأهل الكبائر من أمته، وبعذاب القبر، وأن الحوض والصراط والبعث حق، والمحاسبة من الله للعباد حق، والوقوف بين يديه حق.

ويقرون بأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، ويقولون: أسماء الله هي الله، ولا يشهدون على أحد من أهل الكبائر بالنار، ويقولون: أمرهم إلى الله إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم، ويؤمنون بأنه سبحانه يُخرج قومًا من الموحدين من النار على ما جاءت به الروايات، وينكرون المِرَاء في الدين والخصومة في القدر والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل، ويتنازعون فيه من دينهم بالتسليم للروايات الصحيحة ولما جاءت به الآثار التي رواها الثقات، ولا يقولون: كيف؟ ولا لم؟، لأن ذلك بدعة، ويقولون: إن الله لم يأمر بالشرِّ بل نهى عنه وأمر بالخير، ولم يرض بالشر وإن كان مريدًا له.

ويعرفون حق السلف الذين اختارهم الله لصحبة نبيه، ويأخذون بفضائلهم ويُمسكون عما شجر بينهم، ويُقدِّمون أبا بكر ثم عمر ثم عثمان ثم عليًّا ويقرون أنهم الخلفاءُ الراشدون المهديون، أفضل الناس كلهم بعد النبي عليه السلام.. ويصدقون بأحاديث النزول، ويأخذون بالكتاب والسنة.. ويرون اتباع من سلف من أئمة الدين، وأن لا يبتدعوا في دينهم ما لم يأذن به الله، ويقرون أن الله يجيء يوم القيامة.. وأنه يَقرُب من خلقه كيف يشاء.

ويرون العيد والجمعة والجماعة خلف كل إمام بر وفاجر، ويُثبتون المسح على الخفين سنة ويرونه في الحضر والسفر، ويثبتون فرض جهاد المشركين منذ بعث الله نبيه إلى آخر عصابة تقاتل الدجال وبعد ذلك، ويرون الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح، وأن لا يخرجوا عليهم بالسيف، وأن لا يقاتلوا في الفتنة، ويصدقون بخروج الدجال وأن عيسى يقتله، ويؤمنون بمنكر ونكير، والمعراج، والرؤيا في المنام، وأن الدعاء لموتى المسلمين والصدقة عنهم بعد موتهم تصل إليهم، ويصدقون بأن في الدنيا سحرة، وأن الساحر كافر كما قال الله، وأن السحر كائن موجود في الدنيا، ويرون الصلاة على كل من مات من أهل القبلة بَرِّهم وفاجرهم؛ وموارثتَهم.. ويُقرون أن الجنة والنار مخلوقتان، وأن من مات مات بأجله، ومن قُتل قُتل بأجله، وأن الأرزاق من قبَل الله، يرزقها عباده حلالاً كانت أم حرامًا، وأن الشيطان يوسوس للإنسان ويشككه ويخبطه، وأن الصالحين يجوز أن يخصهم الله بآيات تظهر عليهم، وأن السنة لا تُنسخ بالقرآن، وأن الأطفال أمرُهم إلى الله، إن شاء عذبهم وإن شاء فعل بهم ما أراد، وأن الله عالم ما العباد عاملون.

ويرون الصبر على حكم الله والأخذ بما أمر الله به والانتهاء عما نهى عنه، وإخلاصَ العمل والنصيحةَ للمسلمين، ويدينون بعبادة الله في العابدين والنصيحة لجماعة المسلمين واجتناب الكبائر والزنا وقول الزور والعصبية والفخر والكبر وازدراء الناس والعُجب، ويرون مجانبة كل داع إلى بدعة، والتشاغل بقراءة القرآن، وكتابة الآثار.."، إلى أن قال: "فهذه جملة ما يأمرون به ويستعملونه ويرونه وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب".

تلكم هي مرجعية وعقيدة أبي الحسن الأشعري بنصها وفصها، تراها في سائر كتبه كما تراها في (الإبانة)، وهي عينها مرجعية وعقيدة السلف وعليهما إجماعهم، فلينظر كل امرئ مسلم أين مواطئ قدمه منهما؛ إذ بقدر تمسكه بهما وعمله بما فيهما وتركه طرق الفلاسفة والمبتدعة، بقدر ما يكون من الصواب والعكس.

ولقد بلغ الابتعاد عنهما واتباع غيرهما مبلغًا وصل لحد اقتران العقيدة بالفلسفة بمجال التخصص في جامعة الأزهر بالمخالفة لما عليه الأشعري!؛ وإلا فأين منهما من يدعون -من الأشاعرة والمخالفين- شرف الانتساب إلى القائل بهما وهو بعدُ إمام المذهب؟!..

وإلى لقاء آخر.. والحمد لله رب العالمين.

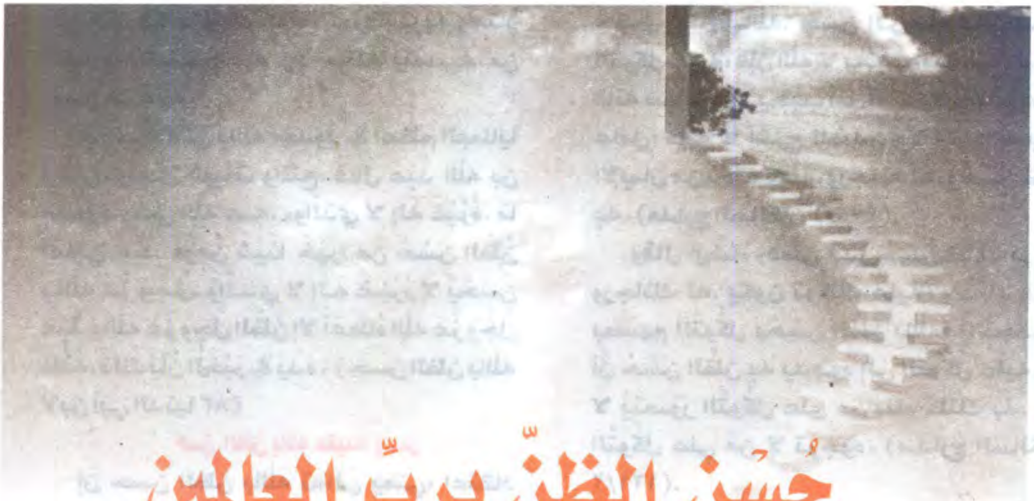

حُسنُ الظنّ بربِّ العالمين وجزاء الموحدين

إعداد معاوية محمد هيكل

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على نبيه الذي اصطفى وعلى آله وصحبه ومن لأثره اقتفى، وبعد:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يقول الله تعالى: أنا عند ظنِّ عبدي بي، وأنا معه إذا ذكَرَني، فإن ذَكَرني في نفسه ذكرتُه في نفسي، وإن ذَكَرَني في ملأ ذكرتُه في ملأ خيرٌ منهم، وإن تقرَّبَ إليَّ شبرًا تقرَّبتُ إليه ذراعًا، وإن تقرَّبَ إليَّ ذراعًا تقرَّبتُ إليه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيتُه هرْولةً» (صحيح البخاري: ٧٤٠٥).

وهذا الحديث قد عدَّهُ العُلَماءُ من أحاديث الرجاء العظيمة ففيه إرشاد للعبد وحضٌ على حسن ظنه بربه، وترغيب في الإكثار من ذكره، مع بيان أجره وعظيم فضله، وقد ذكرنا في المقالين السابقين جملة من الفوائد المتعلقة بهذا الحديث، وفي هذا المقال نعرض لجملة أخرى من فوائد هذا الحديث المبارك فنقول وبالله التوفيق:

حسن الظن بالله من سمات عباد الله الموحدين:

إن حسن الظن بالله تعالى من عبوديات القلب العظيمة، وهو مقامٌ عَليٌّ كريم جليل من مقامات الدين الرفيعة؛ فإنه جلّ وعلا لا يُخيِّب أمَلَ آملٍ، ولا يُضيِّع عمل عامل، (فَإِنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ)(هود ١١).

وهذا الإحسان كلما قوي في قلب العبد أثمر ثمارًا طيبة مباركة وعوائد حميدة على صاحبه في الدنيا والآخرة.

وحُسن الظن بالله هو فرعٌ عن المعرفة بالله؛ فإنَّ العبد كلما كان أعظم معرفةً بالله وبأسمائه وصفاته، وأنه جلَّ وعلا وسع كل شيء رحمةً وعلمًا، وأنه سبحانه توابٌ رحيم، جوادٌ كريم، عفو غفور، يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، وأنه لا يتعاظمه ذنب، وأنه واسع المغفرة، عظيم المنِّ والصفح، إلى غير ذلكم من صفات الكمال والجمال، ونعوت العظمة

والجلال؛ فكلما ازداد العبد معرفةً بربه وامتلأ قلبه بخشيته وحبه زاد حظه ونصيبه من حسن ظنه به.

فحسن الظن بالله معدودٌ في أعظم العطايا والمنن، وأجل الهبات والمنح. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه: «وَالَّذِي لا إِلَهَ غَيْرُهُ، مَا أُعْطِيَ عَبْدٌ مُؤْمِنٌ شَيْئًا خَيْرًا مِنْ حُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالَّذِي لا إِلَهَ غَيْرُهُ لا يُحْسِنُ عَبْدٌ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الظَّنَّ إِلا أَعْطَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ظَنَّهُ، ذَلِكَ بِأَنَّ الْخَيْرَ فِي يَدِهِ» (حسن الظن بالله لابن أبي الدنيا ٨٣)

حسن الظن بالله عقيدة وعمل

إن حسن الظن بالله تعالى يعني: اعتقاد ما يليق بالله تعالى من أسماء وصفات وأفعال، واعتقاد ما تقتضيه من آثار جليلة وعظيمة، كاعتقاد أن الله تعالى يرحم عباده ويعفو عنهم إذا هم تابوا إليه وأنابوا، ويقبل منهم طاعاتهم وعبادتهم، وكذلك اعتقاد أن لله تعالى الحِكَم الجليلة فيما قدَّره وقضاه.

وحسن الظن بالله لابد أن يصاحبه العمل، ومن ظنَّ أن حسن الظن بالله تعالى ليس معه عمل؛ فهو لم يدرك بعد ولم يفهم هذه العبادة العظيمة القدر على وجهها الصحيح، فحسن الظن لا يكون مع ترك الواجبات، وفعل المحرمات، ومن ظنَّ ذلك فقد وقع في الغرور، والرجاء المذموم، والإرجاء المبتدع، والأمن من مكر الله، وكلها طوام ومهالك.

قال النَّووي رحمه الله: (قال العلماء: معنى حُسْنِ الظَّنِّ بالله تعالى: أن يَظُنَّ أنَّه يرحمه، ويعفُوَ عنه. قالوا: وفي حالة الصِّحَّة يكون خائفًا راجيًا، ويكونان سواء، وقيل: يكون الخوف أرجح. فإذا دنت أمارات الموت، غلَّبَ الرَّجاء، أو محَّضه؛ لأنَّ مقصود الخوف الانكفاف عن المعاصي، والقبائح، والحرص على الإكثار من الطَّاعات، والأعمال، وقد تعذَّر ذلك أو معظمه في هذا الحال، واستُحبَّ إحسان الظَّن المتضمِّن للافتقار إلى الله تعالى، والإذعان له) (مسلم بشرح النووي ٩/٢٥٦).

وقال ابن القيِّم رحمه الله: «كلما كان العبد حَسنِ الظَّن بالله، حَسن الرَّجاء له، صادق التوكُّل عليه؛ فإنَّ الله لا يخيِّب أمله فيه ألبتَّة؛ فإنَّه سبحانه لا يخيِّب أمل آمل، ولا يضيِّع عمل عامل؛ فإنَّه لا أشرح للصَّدر، ولا أوسع له بعد الإيمان من ثقته بالله، ورجائه له، وحُسْن ظنِّه به» (مدارج السالكين ١/٤٧١).

وقال أيضا: «فعلى قدر حُسْن ظنِّك بربِّك ورجائك له، يكون توكُّلك عليه؛ ولذلك فَسَّر بعضهم التَّوكُّل بحُسْن الظَّن بالله، والتَّحقيق: أنَّ حُسْن الظَّن به يدعوه إلى التوكُّل عليه، إذ لا يُتَصَوَّر التَّوكُّل على من ساء ظنك به، ولا التَّوكُّل على من لا ترجوه» (مدارج السالكين ٢/١٢١).

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْمُؤْمِنُ يَعْمَلُ بِالطَّاعَاتِ وَهُوَ مُشْفِقٌ وَجِلٌ خَائِفٌ، وَالْفَاجِرُ يَعْمَلُ بِالْمَعَاصِي وَهُوَ آمِنٌ» (تفسير ابن كثير ٣/ ٤٥١).

لذلك فإن حسن الظن النافع له أركان ثلاث: المحبة، والخوف، والسعي، فالمحبة ناجمة عن المعرفة «لذي الكمال»، والخوف ناجم عن المعرفة «لذي الجلال»، والسعي دليل المحبة والخوف ودليل المعرفة الحقة.

ومن رجا شيئًا كان محبًّا له خائفًا من فواته عليه، ساعيًا لتحصيله بقدر ما أوتي من طاقة، أما الرجاء الذي لا يصحبه خوف وسعي ولا يزيد عن محبة وأمنية فهو أشبه بمن يطلب الحصاد دون حرث، كما قال الشاعر:

فرطت في الزرع وقت البذر من سفه
فكيف عند حصاد الناس تدركه

الفرق بين حسن الظن والغرور

قال ابن القيم رحمه الله: «الفرق بين حسن الظن والغرور، أن حسن الظن إن حمَل على العمل وحث عليه وساعده وساق إليه: فهو صحيح، وإن دعا إلى البطالة والانهماك في المعاصي: فهو غرور. وحسن الظن هو الرجاء، فمن كان رجاؤه جاذبًا له على الطاعة زاجرًا له عن المعصية فهو رجاء صحيح، ومن كانت بطالته رجاءً ورجاؤه بطالة وتفريطا: فهو المغرور. (الجواب الكافي ص ٢٤).

أفنجعل المسلمين كالمجرمين

إن إحسان الظن بالله لا يعني مساواة العاصين بالصالحين، يقول ابن القيم رحمه الله: «وكيف يحسن الظن بربه من هو شارد عنه، حال مرتحل في مساخطه وما يغضبه، فبالله ما ظن أصحاب الكبائر والظلمة بالله إذا لقوه ومظالم العباد عندهم؟ فإن كان ينفعهم قولهم حَسَّنَّا ظُنوننا بك أنك لن تعذب ظالمًا ولا فاسقًا، فليصنع العبد ما شاء، وليرتكب كل ما نهاه الله عنه، وليحسن ظنه بالله، فإن النار لا تمسه فسبحان الله ما يبلغ الغرور بالعبد. (الجواب الكافي: ٤٣).

من مواطن حسن الظن بالله تعالى

الأصل في المسلم أن يكون دائمًا حسن الظنّ بربه تعالى، وأكثر ما يتعيَّن على المسلم حسن الظن بربِّه تعالى في موضعين:

الأول: عند قيامه بالطاعات:

فيلاحظ في الحديث علاقة حسن الظن بالعمل أوضح ما يكون، فقد أعقبه بالترغيب بذكره عز وجل والتقرب إليه بالطاعات، فمن حسُن ظنه بربه تعالى دفعه ذلك لإحسان عمله. قال الحسن البصري رحمه الله: « إن المؤمن أحسنَ الظنّ بربّه فأحسن العملَ، وإنّ الفاجر أساءَ الظنّ بربّه فأساءَ العمل. (رواه أحمد في «الزهد» ص ٤٠٢).

وقال ابن القيم رحمه الله: «وبالجملة: فحُسن الظن إنما يكون مع انعقاد أسباب النجاة، وأما مع انعقاد أسباب الهلاك: فلا يتأتى إحسان الظن». (الجواب الكافي (ص ١٣ ١٥) مختصرًا)

وقال القرطبي رحمه الله: قيل: معناه:

(١) ظنّ الإجابة عند الدعاء.

(٢) وظنّ القبول عند التوبة.

(٣) وظن المغفرة عند الاستغفار.

(٤) وظن قبول الأعمال عند فعلها على شروطها؛ تمسُّكًا بصادق وعْده، وجزيل فضله.

وهذا يؤيدهُ قولُه صلَّى الله عليه وسلَّم: «ادْعُوا الله وأنتمْ مُوقِنُونَ بالإجابةِ» (صحيح الجامع: ٢٤٥).

«وكذلك ينبغي للتَّائب والمستغفر، وللعامل أن يَجتهد في القيام بما عليه من ذلك، موقنًا أنَّ الله تعالى يقبل عملَه، ويغفر ذنبه؛ فإنَّ الله تعالى قد وعد بقبول التَّوبة الصادقة، والأعمال الصالحة، فأمَّا لو عمل هذه الأعمال وهو يعتقد أو يظنُّ أنَّ الله تعالى لا يقبلُها، وأنَّها لا تنفعُه؛ فذلك هو القنوط من رحْمة الله، واليأس من رَوْح الله، وهو من أعظم الكبائر، ومَن مات على ذلك؛ وصل إلى ما ظنَّ منه. فأمَّا ظن المغفرة والرحمة مع الإصرار على المعصية؛ فذلك محض الجهل والغرور، وهو يجر إلى مذهب المرجئة» (المفهم شرح مسلم ٥٦/٧).

الثاني: عند المصائب، وعند حضور الموت

فعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَبْلَ وَفَاتِه بِثَلَاثٍ يقولُ: (لاَ يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلاَّ وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللَّهِ الظَّنَّ) (رواه مسلم ٢٨٧٧).

«ويجب على المؤمن أن يُحسن الظنَّ بالله تعالى، وأكثر ما يجب أن يكون إحسانًا للظن بالله: عند نزول المصائب، وعند الموت، قال الخطابي: ندب للمحتضر تحسين الظن بالله تعالى، وتحسين الظن بالله وإن كان يتأكد عند الموت وفي المرض، إلا أنه ينبغي للمكلف أن يكون دائمًا حسن الظن بالله». (الموسوعة الفقهية ٢٢٠/١٠)

فتبين مما سبق أن حسن الظن بالله تعالى لا يكون معه ترك واجب ولا فعل معصية، ومن اعتقد ذلك نافعًا له فهو لم يثبت لله تعالى ما يليق به من أسماء وصفات وأفعال على الوجه الصحيح، وقد أوقع نفسه بذلك في مزالق الردى، وأما المؤمنون العالمون بربهم فإنهم أحسنوا العمل وأحسنوا الظن بربهم أنه يقبل منهم، وأحسنوا الظن بربهم عند موتهم أنه يعفو عنهم ويرحمهم ولو كان عندهم تقصير، فيُرجى لهم تحقيق ذلك منه تعالى كما وعدهم.

وفي الحديث بيان فضل الذكر وجزاء الذاكرين؛ فالله عز وجل مع عبده حين يذكره، وهذه المعية هي معية خاصة، وهي معية الحفظ والعون والتثبيت والتسديد كقوله سبحانه

لموسى وهارون: «إنني معكما أسمع وأرى» (طه: ٤٦)؛ فمن ذكر الله في ملأ ذكره الله تعالى في ملأ خير منهم، وهم الملأ الأعلى من الملائكة، كما جاء في «عمدة القاري»: «وَإن ذَكرني في مَلأ - أي: في جمَاعَة، ذكرته في مَلأ خير منْهُم يَعْني الْمَلَائكَة المقربين»؛ قال الطبري: «ومن جسيم ما يُرجى به للعبد الوصول إلى رضا ربه، ذكره إياه بقلبه، فإن ذلك من شريف أعماله عنده».

وقال الحافظ ابن حجر في الفتح: قوله: فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي. أي: إن ذكرني بالتنزيه والتقديس سرًّا.

وقال الربيعُ بنُ أنس: «إنَّ الله ذاكرٌ مَنْ ذكرهُ، وزائدٌ مَنْ شكره، ومعذِّبٌ مَن كَفَرَه».

قال ابن رجب: قال الله تعالى: (فَاذْكُرُوْني أَذْكُرْكُم) وذكر الله لعَبْده: هو ثناؤه عليه في المَلأ الأعلى بين ملائكته ومُبَاهاتهم به، وتَنْويهه بذكْره. اهـ.

وأوصَى الألبيري ابنه فكَان مما قال له:

وَأَكْثِرْ ذكْرَهُ في الأَرْض دَأْبًا
لتُذْكَرَ في السَّمَاء إذَا ذَكَرْتَا

مفهوم الذكر وحقيقة معناه

ومفهوم ذكْر الله أعَمّ من مُجرَّد الذِّكْر باللسان. قال تعالى: (فَاذْكُرُوني أَذْكُرْكُمْ)؛ قَالَ ابْنُ عَبَّاس رضي الله عنهما: «اذْكُرُوني بطاعَتي أذكركم بمعونتي.

وَقَالَ سَعيدُ بْنُ جُبَيْر: اذْكُرُوني بطاعتي أذكركم بمغفرتي، وقيل: اذْكُرُوني في النِّعْمَة وَالرَّخَاء أَذْكُرْكُمْ في الشدّة والبلاء، بيانه: «فَلَوْلا أَنَّهُ كانَ منَ الْمُسَبِّحينَ لَلَبثَ في بَطْنه إلى يَوْم يُبْعَثُون» (معالم التنزيل للبغوي).

وقال الحسن البصري: «اذكروني فيما افْتَرَضْت عليكم أذْكُرْكم فيما أوْجَبْت لكم على نفسي».

لذلك فمجالس الذِّكْر أعمّ من أن تكون مجالس التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير.

قال عطاء: مَجالس الذِّكْر هي مَجالس الحلال والحرام؛ كيف تشترى، وتبيع، وتُصَلِّي، وتصوم، وتَنْكح وتُطَلِّق، وتَحُجَ، وأشباه هذا.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «كل ما تكلّم به اللسان وتصوّره القلب مما يُقرِّب إلى الله من تعلّم علم وتعليمه وأمر بمعروف ونهي عن منكر؛ فهو من ذكر الله.

ولهذا مَن اشتغل بطلب العلم النافع بعد أداء الفرائض، أو جلس مَجْلسا يَتفقَّه أو يُفقِّه فيه الفقه الذي سَمَّاه الله ورسوله فقْها؛ فهذا أيضا من أفضل ذكر الله.اهـ. (مجموع الفتاوى ١٠/٦٥٣).

وقوله: «ذَكَرني في نفسه» يشمل: القول باللسان، والذِّكْر بالقلب، والعمل بالجوارح.

والقول باللسان يُشترط فيه تحريك اللسان، سواء كان بالذِّكْر أو بالدعاء أو قراءة القرآن. والذِّكْر بالقلب تعظيما وخوفا ورهبة وإجلالا لله عزَّ وجَلّ. والعمل بالجوارح طاعة وانقيادًا لله تبارك وتعالى.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «أفضل من ذكْر الله باللسان ذكْر الله عند أمْره ونَهْيه».

وقال القرطبي: «والذكر النافع هو مع العلم وإقبال القلب وتفرغه إلا من الله، وأما ما لا يتجاوز اللسان ففي رتبة أخرى، وذكر الله تعالى للعبد هو إفاضة الهدى ونور العلم عليه وذلك ثمرة لذكر العبد ربه. كما قال تعالى: فاذكروني أذكركم». اهـ.

قال ابن القيم رحمه الله: والذِّكر نوعان:

أحدهما: ذكْر أسماء الرب وصفاته والثناء عليه، وتَنْزيهه وتقديسه عمّا لا يليق به.

والثاني: ذكْر أمْره ونَهيه وأحكْامه.

وهو أيضًا نوعان:

أحدهما: ذكْره بذلك إخبارًا عنه؛ أَمَر بكذا، ونَهى عنه كذا، وأحب كذا، وسخط كذا، ورضي كذا.

والثاني: ذكْره عند أمْره فيُبادر إليه، وعند نَهْيه فيهرب منه، فَذكْر أمْره ونهيه شيء، وذكْره عند أمْره ونَهيه شيء آخر. فإذا اجتمعت هذه الأنواع للذاكر فَذكْره أفضل الذِّكْر وأجلّه وأعظمه.اهـ. (الوابل الصيب ٢٣٤).

فاللهم اجعلنا من عِبادك الموحدين وأوليائك الصالحين، وثبت قلوبنا على دينك حتى نلقاك يا رب العالمين.

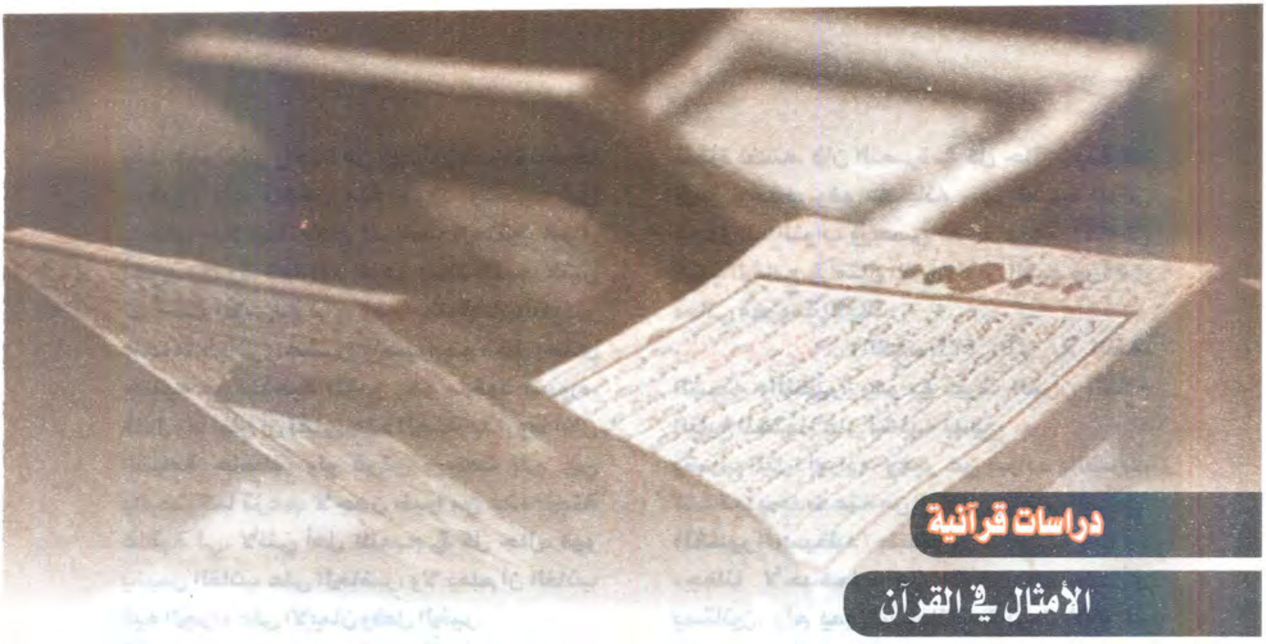

مثل الرجلين: المؤمن والكافر صاحب الجنتين

الحلقة الأولى

إعداد/ مصطفى البصراتي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

فهذا مثل من الأمثال القرآنية لمن يعتز بالدنيا ويستنكف عن مجالسة المؤمنين الفقراء، وهو محكيٌّ في اثنتي عشرة آية من سورة الكهف، وهي من قوله تعالى: «وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا» (الكهف: ٣٢) إلى الآية (٤٤)، وهي قول الله تعالى: «هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا» (الكهف:٤٤).

المعنى الإجمالي للأيات:

قال صاحب التفسير الوسيط دكتور سيد طنطاوي، رحمه الله: «واضرب-أيها الرسول الكريم- مثلاً للمؤمنين الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، وللكافرين الذين غرتهم الحياة الدنيا ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حيَّ عن بينة».

وقال ابن عطية في «المحرر الوجيز»: الضمير في (واضرب لهم) عائد على الطائفة المتحيرة التي أرادت من النبي صلى الله عليه وسلم أن يطرد فقراء المؤمنين الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي، وعلى أولئك الداعين أيضًا، فالمثل مضروب للطائفتين؛ إذ الرجل الكافر صاحب الجنتين هو بإزاء متجبِّري قريش، أو بني تميم، على الخلاف المذكور أولاً، والرجل المقر بالربوبية هو بإزاء بلالٍ وعمارٍ وصهيب وأقرانهم». اهـ.

ونقل محقق «الجامع في أمثال القرآن» لابن القيم عن بعض المفسرين: «بيِّن-أيها الرسول- في شأن الكفار الأغنياء مع المؤمنين الفقراء مثلاً وقع فيما سلف بين رجلين: كافر ومؤمن. وللكافر حديقتان من أعناب، وأحطناهما بالنخيل زينة وجعلنا بين الجنتين زرعًا نضِرًا مثمرًا.

وقد أثمرت كل واحدة من الجنتين ثمرها ناضجًا موفورًا، ولم تنقص منه شيئًا، وفجرنا نهرًا ينساب خلالهما، وكان لصاحب الجنتين أموال أخرى مثمرة، فداخله الزهو بتلك النعم، فقال لصاحبه المؤمن في غرور وهما يتناقشان: أنا أكثر منك مالاً وأقوى عشيرة ونصيرًا، ثم دخل إحدى جنتيه مع صاحبه المؤمن وهو مأخوذ بغروره، فقال: ما أظن أن تفنى هذه الجنة أبدًا، وما أظن القيامة حاصلة، ولو فُرض ورجعت إلى ربي بالبعث كما تزعم، لأجدن خيرًا من هذه الجنة عاقبة لي، لأنني أهل للنعيم في كل حال، فهو يقيس الغائب على الحاضر، ولا يعلم أن الغائب فيه الجزاء على الإيمان وفعل الخير.

قال صاحبه المؤمن مجيبًا له: أتُسوِّغ لنفسك أن تكفر بربك الذي خلق أصلك آدم من تراب، ثم من نطفة مائية، ثم صورك رجلاً كاملاً، فإن اعتززت بمالك وعشيرتك، فاذكر ربك وأصلك الذي هو من طين.

لكن أقول: إن الذي خلقني وخلق هذا العالم كله هو الله ربي، وأنا عبده وحده، ولا أشرك معه أحدًا.

ولولا قلت عند دخولك جنتك والنظر إلى ما فيها: ما شاء الله، ولا قوة لي على تحصيله إلا بمعونة الله، فيكون ذلك شكرًا كفيلاً بدوام نعمتك.

ثم قال له: إن كنت تراني أقل منك مالاً وأقل ولدًا ونصيرًا، فلعل ربي يعطيني خيرًا من جنتك في الدنيا أو الآخرة، ويرسل على جنتك قدرًا قدَّره لها كصواعق من السماء، فيصير أرضًا ملساء لا ينبت فيها شيء، ولا يثبت عليها قدم.

أو يصير ماؤها غائرًا في الأرض لا يمكن الوصول إليه، فلا تقدر على إخراجه لسقيها، وقد عاجل الله الكافر، وأحاطت المهلكات بثمار جنته، وأهلكتها، وأبادت أصولها، فأصبح يقلب كفيه ندمًا وتحسرًا على ما أنفق في عمارتها، ثم عاجلها الخراب، فتمنى أن لم يكن أشرك بربه أحدًا.

عند هذه المحنة لم تكن له عشيرة تنصره من دون الله كما كان يعتز وما كان هو بقادر على نصرة نفسه، فإن النصرة في كل حال ثابتة لله الحق وحده، وهو سبحانه خير لعبده المؤمن يجزل له الثواب ويحسن له العاقبة». (هامش كتاب الجامع في أمثال القرآن لابن القيم ص٥٩).

معاني مفردات الآيات:

«وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا» (الكهف:٣٢) المثل في اللغة: الشبيه والنظير، وهو في عرف القرآن الكلام البليغ المشتمل على تشبيه بديع.

وضرب المثل: إيراده، وعبر عن إيراده بالضرب، لشدة ما يحدث عنه من التأثير في نفس السامع. (تفسير الوسيط د/ طنطاوي).

«جعلنا لأحدهما»: هو الكافر، جنتين: أي بستانين، ولم يعين سبحانه مكانهما، لأنه لم يتعلق بهذا التعيين غرض.

«من أعناب»: بيان لما في الجنتين أي من كروم متنوعة جمع عنب والعنبة الحبة.

«وحففناهما بنخل»: أي جعلنا النخل محيطًا بهما مطبقًا بحوافهما: أي جانبيهما، يقال حفه القوم: أي طافوا به، ومنه قوله: «حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ» (الزمر:٧٥)، وحففته بهم إذا جعلتهم حافين حوله. (تفسير المراغي).

«وجعلنا بينهما زرعًا»: أي جعلنا حول الأعناب النخيل ووسط الأعناب الزرع، وقيل: بينهما أي بين الجنتين زرعًا يعني لم يكن بين الجنتين موضع خراب.

«كلتا الجنتين آتت»: أي أعطت كل واحدة من الجنتين ثمرها وبلغت مبلغًا صالحًا للأكل. (تفسير أبي السعود).

«ولم تظلم منه شيئًا»: أي لم تنقص من أكلها شيئًا في بعض السنين، بل في كل سنة يأتي ثمرها وافيًا، يقال: ظلمه حقه أي أنقصه.

«وفجرنا»: أي أجرينا وشققنا، «خلالهما» أي: وسط الجنتين.

«نهرًا»: يجري بينهما دائمًا من غير انقطاع.

«وكان له»: أي لصاحب الجنتين.

«ثمرٌ»: بفتح الثاء والميم وكذا قرأوا في قوله: «أحيط بثمره»، قرأ عاصم وأبو جعفر ويعقوب: «ثَمَرٌ» بفتح التاء والميم، وقرأ أبو عمرو البصري:

«ثُمْرٌ» بضم الثاء وسكون الميم، وقرأ باقي القراء: «ثُمُرٌ»-بضم التاء والميم- قال الجوهري: الثمرة واحدة الثمر وجمع الثمر ثمار مثل جبل وجبال، وقال الفراء: وجمع الثمر ثمر مثل كتاب وكتب، وجمع أثمار مثل عنق وأعناق. اهـ.

والثمر هو الحمل الذي تخرجه الشجرة سواء أكل أو لا.

قال الزهري: أثمر الشجر أطلع ثمره أول ما يخرجه فهو مثمر، ومن هنا قيل لما لا نفع فيه ليس له ثمرة، وقيل الثمر جميع المال من الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك، سمي ثمرًا لأنه يثمر ويزيد مأخوذ من ثَمَّر ما له بالتشديد إذا كثَّره.

«فقال» الكافر «لصاحبه» المؤمن «وهو يحاوره» أي: والكافر يحاور المؤمن، والمعنى يراجعه الكلام ويجاوبه، والمحاورة والمراجعة والتحاور: التجاوب. «أنا أكثر منك مالاً وأعز نفرًا» النفر الرهط وهو ما دون العشرة، وأراد هاهنا الأتباع، والخدم والأولاد والعشيرة. (انظر فتح البيان لصديق حسن القنوجي، والميسر في القراءات الأربعة عشر).

«ودخل جنته» قيل: أخذ بيد أخيه المؤمن يطيف به فيها ويُريه إياها.

«وهو ظالم لنفسه» أي بكفره، وهو جملةٌ في موضع الحال، ومن أدخل نفسه النار بكفره فهو ظالم لنفسه. (انظر تفسير القرطبي).

«قال ما أظن أن تبيد هذه أبدًا» أنكر فناء الدنيا، وفناء جنته، وأنكر البعث والجزاء بقوله: «وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً» (فصلت: ٥٠)، وهذا شك منه في البعث، وتبيد: يعني تفنى.

«ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرًا منها منقلبًا»: أي: ولئن كان معاد ورجعة إلى الله ليكونن لي هناك أحسن من هذا الحظ عند ربي وأنه كما كان غنيًّا في الدنيا سيكون غنيًّا في الآخرة اغترارًا منه بما صار فيه من الغنى الذي هو الاستدراج له من الله. (انظر: المراغي، وتفسير فتح البيان).

«قال له صاحبه» أي المسلم «وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب» أي قال له صاحبه المؤمن واعظًا وزاجرًا عما هو فيه من الكفر: أكفرت بالذي خلقك من تراب، أي: خلق آدم الذي هو أصله من التراب. (تفسير المراغي وأضواء البيان).

«ثم من نطفة»: إشارة إلى مادته القريبة، «ثم سواك رجلاً» أي: عدلك بشرًا سويًّا ذكرًا، «لكنا هو الله ربي» لفظ «لكنا» كتب في المصحف بألف بعد نون، واتفق القراء العشرة على إثبات الألف في النطق في حال الوقف، وأما في حال الوصل فقرأه الجمهور بدون نطق الألف، و«لكنا» أصله لكن أنا وضمير «هو» للشأن والمعنى أنا أقول «الله ربي» فيه تقديم وتأخير مجازه لكن الله هو ربي، و «لا أشرك بربي أحدًا»، فيه إشارة إلى أن أخاه كان مشركًا، «وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ» (الكهف: ٣٩).

توبيخ ووصية من المؤمن للكافر ورد عليه، إذ قال: «ما أظن أن تبيد هذه أبدًا». قال الفراء والزجاج: هلا قلت حين دخلتها الأمر بمشيئة الله وما شاء الله كان، فالمؤمن يحض الكافر على الاعتراف بالعجز، وأن ما تيسر له من عمارتها وحسنها ونضارتها إنما هو بمعونة الله لا بقوته وقدرته.

«إن ترنِ أنا أقل منك مالاً وولدًا» «إن» شرط «ترنِ» مجزوم به، والجواب: «فعسى ربي» و«أنا» فاصلة لا موضع لها من الإعراب.

والمعنى: إن ترن-أيها المغرور- أنا أقل منك مالاً وولدًا، فعسى ربي أن يؤتين خيرًا من جنتك، «فعسى» بمعنى لعل، أي: فلعل «ربي أن يؤتين خيرًا من جنتك» أي في الآخرة، وقيل في الدنيا «ويرسل عليها» أي: على جنتك، «حسبانًا» أي: مقدارًا قدره الله وحسبه، وهو الحكم بتدميرها من صواعق وآفات، «من السماء» علوية. (محاسن التأويل).

«فتصبح صعيدًا زلقًا» أي: فتصبح جنة الكافر بعد إرسال الله سبحانه عليها حسبانًا أرضًا جرداء ملساء لا نبات فيها ولا يثبت عليها قدم. وللحديث بقية في العدد القادم إن شاء الله تعالى.

خبر تُبَّع وإسلامه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

تُبَّعٌ: لقبٌ لِمَن مَلَكَ اليمن، مثل كسرى عند الفرس، وقيصر عند الروم، والنجاشي في الحبشة، وفرعون لكل مَن مَلَكَ مصرَ كافرًا، قال تعالى: « وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ (١٠) ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ (١١) فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ » (الفجر: ١٠- ١٤).

وتُبَّعٌ المذكور في القرآن الكريم هو أحد ملوك اليمن الذي كانت حياته قبيل مولد عيسى ابن مريم عليه السلام وكان يدين بالزبور الذي أنزله الله على داود عليه السلام.

وقد ورد ذكر تُبَّع في القرآن الكريم مرتين، الأولى في قوله تعالى: « أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَـٰهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ » (الدخان: ٣٧).

والثانية في قوله سبحانه: « كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَـٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ (١٢) وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ (١٣) وَأَصْحَـٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ » (سورة ق: ١٢- ١٤).

ونلحظ أن الله تعالى لم يذمَّهُ؛ وإنما ذمَّ قومَه كقوم نوح وغيرِهم من الذين كذبوا رسلهم، كما ورد في السنة المشرفة أحاديث وآثار يشدُّ بعضُها بعضًا تفيد إسلام تُبَّع، وتَنهى عن سَبِّه، وكذلك ذكر الأئمةُ الثقات قصتَهُ في السِيَرِ والتاريخ، والله المستعان:

إعداد د. سعيد محمد صوابي
أستاذ الحديث وعلومه بكلية
أصول الدين جامعة الأزهر

أخرج أبو داود وغيره بسند صحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَا أَدْرِي أَتُبَّعٌ لَعِينٌ هُوَ أَمْ لا...» الحديث.

قال صاحب بذل المجهود (١٨/١٩٧، ١٩٨): «هذا قبل أن يوحى إليه صلى الله عليه وسلم في أمر تُبَّع، ثم أعلمه الله بعد ذلك أنه أسلم، ثم أشار إلى حديث ابن عباس، وسهل بن سعد، وذكر أن ابن مردويه أخرج مثل حديثهما من حديث أبي هريرة في النهي عن سَبِّ تُبَّع»، وقال الحافظ ابن عساكر: «إن هذا الشك كان من النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يتبيَّن له أمره، ثم أخبر أنه كان مسلمًا».

وبهذا يتفق هذا الحديث مع الأحاديث والآثار الأخرى التي ورد فيها النهي عن سَبِّ تُبَّع؛ لأنه كان

مسلمًا، ومن ذلك ما أخرجه الإمام أحمد، والطبراني، وابن أبي حاتم من حديث سهل بن سعد الساعدي قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «لا تَسُبُّوا تُبَّعًا فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ أَسْلَمَ». (المسند ٥/٣٤٠، والمعجم الكبير للطبراني ٦/٢٠٣ ح٦٠١٣، والمعجم الأوسط ٤/١٧٦ ح٣٣١٤).

وله شاهد من حديث ابن عباس عند الطبراني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تَسُبُّوا تُبَّعًا، فَإِنَّهُ قَدْ أَسْلَمَ». قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/٧٦: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه: أحمد بن أبي بزة المكي، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.

وقد أورد ابن جرير وابن كثير في التفسير (تفسير الطبري ٢٥/٧٧، وتفسير ابن كثير ٧/٢٤٣، ٢٤٤) آثارًا عن الصحابة والتابعين فيها النهي عن سَبّ تُبَّع، فعن قتادة قال: ذُكر لنا أن كعبًا كان يقول في تُبَّع: "نعْمَ نعتُ الرجلِ الصالح، ذمَّ الله تعالى قومه ولم يذمّه"، وكانت عائشة تقول: "لا تسبُّوا تُبَّعًا، فإنه قد كان رجلاً صالحًا"، وقال سعيد بن جُبَير: "كسا تُبَّعُ الكعبة، وكان سعيد ينهى عن سبّه" - كذا قال ابن كثير- وعند عبدالرزاق بسنده عن عطاء بن أبي رباح قال: "لا تسبُّوا تُبَّعًا، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن سبّه".

وأخرج الثعالبي في كتاب: «مغايص الجوهر في أنساب حمْيَر» أن تُبَّعًا كان يدينُ بالزبور، وأخرج الحافظ ابن عساكر موقوفًا على ابن عباس بلفظ: «لا يشتبهن عليكم أمر تُبَّع، فإنه كان مسلمًا»، وأخرج عبدالرزاق عن وهب بن مُنَبِّه أنه قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس عن سبّ أسعد، وهو تُبَّع، فقال له أصحابه: يا أبا عبدالله وما كان أسعد؟ قال: كان على دين إبراهيم (أورد له الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق ترجمة حافلة، ينظر: تهذيب تاريخ دمشق ٣/٣٢٨: ٣٤١، وتاريخ بغداد للخطيب ٢/٢٠٥، والطبقات الكبرى لابن سعد ١/١/١٠٣، ١٠٤، وعمدة القاري للعيني ٤/١٧٦، ١٧٧، وتفسير ابن كثير ٧/٢٤٢: ٢٤٤).

وقد ذكر ابن كثير عن ابن إسحاق من خبر تُبَّع؛ واسمه: أسعد أبو كريب، ملك اليمن، المتوفى قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو سبعة قرون: ما يفيد إسلامه حين أخبرَ بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم وذلك أثناء قدومه بجيوشه على مكة ويثرب في ذهابه للحيرة، وخلَّف ابنًا له بين أظهر أهل المدينة، فَقُتل فيهم غِيلةً، فلما رجع تُبَّع حارب أهل المدينة، وعزم على استئصال أهلها، لقتلهم ابنه، وزاد من تصميمه على تنفيذ ما اعتزمه: ما وقع من أحد بني عدي يقال له: الأحمر مع أحد رجال تُبَّع حين وجده اعتدى على تمرِه، فضربه بمنجلةٍ فقتله.

قال ابن إسحاق: «وقد كان رجل من بني عدي بن النجار يقال له: أحمر عدا على رجل من أصحاب تُبَّع حين نزل بهم فقتله، وذلك أنه وجده في عَذْقٍ له يجزه، فضربه بمنجله فقتله، وقال: إنما التمر لمن أبَّرَهُ (بتشديد الموحدة: أصلحه بوضع اللقاح له. القاموس المحيط ١/ ٣٧٤). فاقتتلوا، فتزعُمُ الأنصار: أنهم كانوا يقاتلونه بالنهار، ويقْرُونَهُ بالليل، فيُعجبُهُ ذلك منهم ويقول: والله إن قومَنا لكرام (أي: إنه لم يقصد غزوهم، وإنما قصد قتل اليهود الذين كانوا فيها، وذلك أن الأوس والخزرج كانوا باليمن، ثم نزلوا المدينة مع اليهود بشروط وعهود، فلم يف بذلك اليهود، فاستغاث أهل المدينةَ بتبع فقدمها. (ينظر: هامش السيرة النبوية ١/١٧)، (والخبر بطوله في البداية والنهاية ٢/١٦٣: ١٦٧، وفي السيرة النبوية لابن هشام ١/٢١: ٢٨).

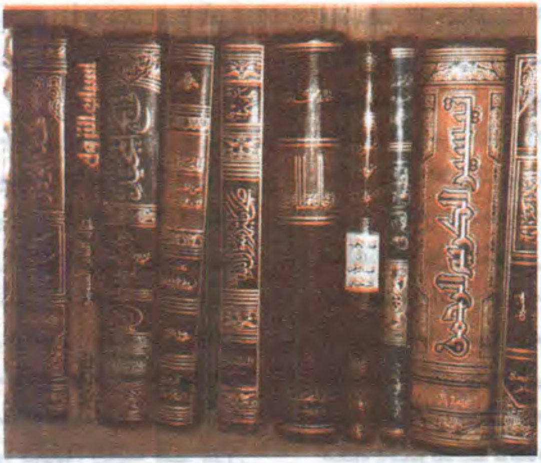

فبينما تُبَّع على ذلك من قتالهم إذ جاءه حبران من أحبار اليهود من بني قريظة، عالمان راسخان في العلم، حين سمعا بما يريد من إهلاك المدينة وأهلها، فقالا له: أيها الملك: لا تفعل، فإنك إن أبيت إلا ما تريد: حيل بينك وبينها، ولم نأمن عليك عاجل العقوبة، فقال لهما: وَلِمَ ذلك؟ فقالا: هي مهاجَر نبيّ يخرَج من هذا الحرم من قريش في آخر الزمان، تكون داره وقراره، فتناهى عن ذلك، ورأى أن لهما علمًا، وأعجبه ما سمع منهما، فانصرف عن المدينة، واتبعهما على دينهما».

قال ابن كثير: «وكأنه والله أعلم، كان كافرًا ثم أسلم، وتابع دين الكليم على يدي من كان من أحبار اليهود في ذلك الزمان على الحق قبل بعثة المسيح عليه السلام» (ينظر: تفسير القرآن العظيم ٧/٢٤٣).

والحمد لله رب العالمين.

أصحاب الدعاء المستجاب

إعداد **صلاح نجيب الدق**

الْحَمْدُ لِلَّه كثيرًا، وَصلى الله على نبينا مُحَمَّد؛ عَبده وَرَسُوله وخَاتم أنبيائه بكرَةً وَأَصيلاً. أَمَّا بَعْدُ فسوف نذكر بعض أصحاب الدعاء المستجاب عند الله تعالى:

(١) البار بوالديه:

عن عَبْدِ اللَّه بْن عُمَرَ بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، من حديث أصحاب الغار، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: فَقَالَ رَجُلٌ منْهُمْ: اللَّهُمَّ كَانَ لي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبيرَانِ وَكُنْتُ لَا أَغْبقُ قَبْلَهُمَا أَهْلاً وَلَا مَالاً فَنَأَى بي فِي طَلَب شَيْءٍ يَوْمًا فَلَمْ أرِحْ عَلَيْهمَا حَتَّى نَامَا فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا (أيْ اللبَن عند العشاء) فَوَجَدْتُهُمَا نَائمَيْنِ وَكَرهْتُ أَنْ أَغْبقَ (أشْرَبَ) قَبْلَهُمَا أَهْلاً أَوْ مَالاً فَلَبثْتُ وَالْقَدَحُ عَلَى يَدَيَّ أَنْتَظرُ اسْتيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ فَاسْتَيْقَظَا فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا. اللَّهُمَّ إنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلكَ ابْتغَاءَ وَجْهك فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فيه منْ هَذه الصَّخْرَة فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا لَا يَسْتَطيعُونَ الْخُرُوجَ منه. (البخاري حديث ٢٢٧٢، ومسلم حديث ٢٧٤٣).

(٢) المسلم لأخيه بظهر الغيب:

عَنْ أُم الدَّرْدَاء أن النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلم لأَخيه بظَهْر الْغَيْب مُسْتَجَابَةٌ عنْدَ رَأْسه مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّمَا دَعَا لأَخيه بخَيْرٍ قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِه: آمينَ وَلَكَ بمثْلٍ. (مسلم حديث ٢٧٣٣).

(٣) المظلوم:

عَنْ مُعَاذ بْن جَبَلٍ أن النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "اتَّق دَعْوَةَ الْمَظْلُوم فَإنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الله حجَابٌ". (مسلم حديث ١٩).

وَعَنْ خُزَيْمَةَ بْن ثَابتٍ، رَضيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: "اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُوم فَإنَّهَا تُحمَلُ عَلَى الْغَمَام، يَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: وَعزَّتي وَجَلَالي لَأَنْصُرَنَّك وَلَوْ بَعْدَ حينٍ". (صحيح الجامع للألباني حديث ١١٧).

وعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ أن النَّبيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: "دَعْوَةُ الْمَظْلوم مُسْتَجَابَةٌ، وَإنْ كَانَ فَاجرًا فَفُجُورُهُ عَلَى نَفْسه". (صحيح الجامع للألباني حديث ٣٣٨٢).

(٤) الآباء الصالحون:

عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: ثَلَاثُ دَعَوَات مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فيهنَّ: دَعْوَةُ الْوَالد وَدَعْوَةُ الْمُسَافر وَدَعْوَةُ الْمَظْلُوم. (صحيح أبي داود للألباني حديث ١٣٥٩).

(٥) الإمام العادل:

عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: ثَلَاثَةٌ لا يَرُدُّ الله دُعَاءَهُمُ؛ الذَّاكرُ الله كَثيرًا، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُوم، وَالْإمَامُ الْمُقْسطُ" (صحيح الجامع للألباني حديث ٣٠٦٤).

(٦) الصائم والمسافر:

عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: "ثَلَاثُ دَعَوَات مُسْتَجَابَاتٌ: دَعْوَةُ الصَّائم، وَدَعْوَةُ الْمُسَافر، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُوم". (صحيح الجامع للألباني حديث ٣٠٣٠).

صور من إجابة الدعاء:

(١) سعيد بن زيد:

عَنْ سَعيد بْن زَيْد أَنَّ أَرْوَى بنْتَ أُوَيْس خَاصَمَتْهُ فِي بَعْض دَاره فَقَالَ: دَعُوهَا وَإيَّاهَا فَإنِّي سَمعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: مَنْ أَخَذَ شبْرًا منْ الْأَرْض بغَيْر حَقّه طُوِّقَهُ فِي سَبْع أَرَضينَ يَوْمَ الْقيَامَة اللَّهُمَّ إنْ كَانَتْ كَاذبَةً فَأَعْم بَصَرَهَا وَاجْعَلْ قَبْرَهَا فِي دَارهَا. قَالَ(مُحَمَّد بْن زَيْد بْن عَبْد الله بْن

عُمَرَ. أحد رواة الحديث): فَرَأَيْتُهَا عَمْيَاءَ تَلْتَمِسُ الْجُدُرَ تَقُولُ أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعِيد بْنِ زَيْد فَبَيْنَمَا هِيَ تَمْشِي فِي الدَّار مَرَّتْ عَلَى بِئْرٍ فِي الدَّار فَوَقَعَتْ فِيهَا فَكَانَتْ قَبْرَهَا. (مسلم- كتاب المساقاة حديث ١٣٨).

(٢) أنس بن مالك:

قَالَ ثَابِتٌ الْبُنَانِي: كُنْتُ مَعَ أَنَس بن مالك فَجَاءَ خادمه فَقَالَ: يَا أَبَا حَمْزَةَ، عَطشَتْ أَرْضُنَا قَالَ: فَقَامَ أَنَسٌ وَتَوَضَّأَ، وَخَرَجَ إِلَى الْبَرِيَّة، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ دَعَا رَبَّهُ، فَرَأَيْتُ السَّحَابَ يَلْتَئِمُ وَقَالَ: ثُمَّ أَمْطَرَتْ حَتَّى مَلَأَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَلَمَّا سَكَنَ الْمَطَرُ، بَعَثَ أَنَسٌ بَعْضَ أَهْله، فَقَالَ: «انْظُرُوا أَيْنَ بَلَغَت السَّمَاءُ؟» فَنَظَرَ فَلَمْ تَعْدُ أَرْضَهُ إِلَّا يَسِيرًا. (مجابو الدعوة، لابن أبي الدنيا، صـ٤٢، رقم: ٤٢).

(٣) أويس بن عامر القرني:

عَنْ أُسَيْر بْنِ جَابِر، قَالَ: كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّاب إِذَا أَتَى عَلَيْه أَمْدَادُ (المجاهدون) أَهْل الْيَمَن، سَأَلَهُمْ: أَفِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامر؟ حَتَّى أَتَى عَلَى أُوَيْس فَقَالَ: أَنْتَ أُوَيْسُ بْنُ عَامر؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: منْ مُرَاد ثُمَّ منْ قَرَن؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَكَانَ بكَ بَرَصٌ فَبَرَأْتَ منْهُ إِلَّا مَوْضعَ درْهَم؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: لَكَ وَالدَةٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ سَمعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ: «يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامر مَعَ أَمْدَاد أَهْل الْيَمَن، منْ مُرَاد، ثُمَّ منْ قَرَن، كَانَ بِه بَرَصٌ فَبَرَأَ منْهُ إِلَّا مَوْضعَ درْهَم، لَهُ وَالدَةٌ هُوَ بهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى الله لَأَبَرَّهُ، فَإِن اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفرَ لَكَ فَافْعَلْ» فَاسْتَغْفرْ لي، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ. (مسلم حديث:٢٥٤٢)

(٤) جريج العابد:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ جُرَيْجٌ كَانَ يُصَلِّي، جَاءَتْهُ أُمُّهُ فَدَعَتْهُ فَقَالَ أُجِيبُهَا أَوْ أُصَلِّي فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لَا تُمِتْهُ حَتَّى تُرِيَهُ وُجُوهَ الْمُومِسَات، وَكَانَ جُرَيْجٌ فِي صَوْمَعَته فَتَعَرَّضَتْ لَهُ امْرَأَةٌ وَكَلَّمَتْهُ فَأَبَى فَأَتَتْ رَاعيًا فَأَمْكَنَتْهُ منْ نَفْسهَا (أيْ ارتكبت جريمة الزنا) فَوَلَدَتْ غُلَامًا فَقَالَتْ منْ جُرَيْج فَأَتَوْهُ فَكَسَرُوا صَوْمَعَتَهُ وَأَنْزَلُوهُ وَسَبُّوهُ فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى ثُمَّ أَتَى الْغُلَامَ فَقَالَ مَنْ أَبُوكَ يَا غُلَامُ؟ قَالَ: الرَّاعي. قَالُوا: نَبْني صَوْمَعَتَكَ منْ ذَهَب. قَالَ: لَا إِلَّا منْ طين. (البخاري حديث ٣٤٣٦).

(٥) بلال بن سعد:

قال الأوزاعيّ (رحمه الله تعالى) قال: خرج النَّاسُ يستسقون، فقام فيهم بلالُ بنُ سعد، فحمدَ الله تعالى وأثنى عليه، ثم قال: يا معشر مَن حضر! ألستم مقرِّين بالإساءة؟ قالوا: بلى؛ فقال: اللهمَّ إنَّا سمعناك تقول: (مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ) (التوبة: ٩١) وقد أقررنا بالإساءة، فهل تكونُ مغفرتك إلا لمثلنا؟ اللَّهمَّ اغفرْ لنَا وارحمنا واسقنا؛ فرفعَ يديه ورفعوا أيديهم، فسُقوا. (الأذكار، للنووي، صـ٣٩٨)

(٦) عبد الله بن شقيق:

قَالَ الْجُرَيْرِيُّ: كَانَ عَبْدُ اللَّه بْنُ شَقيق مُجَابَ الدَّعْوَة، فَكَانَتْ تَمُرُّ به السَّحَابَةُ، فَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ لَا تَجُوزُ مَوْضعَ كَذَا وَكَذَا حَتَّى تُمْطرَ، فَلَا تَجُوزُ ذَلكَ الْمَوْضعَ حَتَّى تُمْطرَ» (مجابو الدعوة، لابن أبي الدنيا، صـ٥٠، رقم: ٥٧).

(٧) سعيد بن المسيب:

قَالَ عَليُّ بْنُ زَيْد بْن جُدْعَانَ (وكان أعمى): كُنْتُ جَالسًا إِلَى سَعيد بْنَ الْمُسَيِّب، فَقَالَ: يَا أَبَا الْحَسَن، مُرْ قَائدَكَ فَيَذْهَبُ بكَ، فَيَنْظُرُ إِلَى وَجْه هَذَا الرَّجُل وَإِلَى جَسَده فَانْطلق فَإِذَا وَجْهُهُ وَجْهُ زَنْجيٍّ، وَجَسَدُهُ أَبْيَضُ فَقَالَ سَعيدٌ: إِنِّي أَتَيْتُ عَلَى هَذَا وَهُوَ يَسُبُّ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ وَعَليًّا عَلَيْهمُ السَّلَامُ، فَنَهَيْتُهُ، فَأَبَى، فَقُلْتُ: إِنْ كُنْتَ كَاذبًا فَسَوَّدَ اللَّه وَجْهَكَ، فَخَرَجَتْ منْ وَجْهه قُرْحَةٌ فَاسْوَدَّ وَجْهُهُ. (مجابو الدعوة، لابن أبي الدنيا، ص٥٧، رقم: ٦٨).

(٨) أبو مسلم الخولاني:

قَالَ بلَالُ بْنُ كَعْب: كَانَت الظِّبَاءُ تَمُرُّ بأَبِي مُسْلم الْخَوْلَاني، فَتَقُولُ لَهُ الصِّبْيَانُ: يَا أَبَا مُسْلم، ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُحْبَسْ عَلَيْنَا هَذَا الظَّبْيَ فَيَدْعُو اللَّه عَزَّ وَجَلَّ فَيَحْبسُهُ حَتَّى يَأْخُذُوهُ بأَيْديهمْ. (مجابو الدعوة، لابن أبي الدنيا، صـ٦٦، رقم: ٨٤)

(٩) إبراهيم بن أدهم:

قَالَ بَقيَّةُ بْنُ الْوَليد: كُنَّا فِي الْبَحْر، فَهَبَّت الرِّيَاحُ، وَهَاجَت الْأَمْوَاجُ، فَبَكَى النَّاسُ وَصَاحُوا، فَقيلَ لمَعْيُوف: هَذَا إِبْرَاهيمُ بْنُ أَدْهَمَ، لَوْ سَأَلْتَهُ أَنْ يَدْعُوَ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ؟ وَإِذَا هُوَ نَائمٌ فِي نَاحيَة السَّفينَة مَلْفُوفٌ رَأْسُهُ فِي كسَاء، فَدَنَا منْهُ، فَقَالَ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ، أَمَا تَرَى مَا النَّاسُ فيه؟ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ قَدْ أَرَيْتَنَا قُدْرَتَكَ، فَأَرنَا رَحْمَتَكَ» فَهَدَأَت السَّفينَةُ. (مجابو الدعوة، لابن أبي الدنيا، صـ٧٤٠، رقم: ١٠٢).

وآخرُ دَعْوَانا أَن الْحَمْدُ للَّه رَبِّ الْعَالَمينَ.

وَصَلَّى الله وَسَلَّمَ عَلَى نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يومِ الدين.

التوحيد
أوسع المجلات
الإسلامية انتشاراً في العالم
٤٦ مجلداً
اطلبوها من باعة الصحف والمكتبات
٨ شارع قولة - عابدين ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - ٢٣٩١٥٤٥٦

ثمن الكرتونة

١٠٥٠ جنيه

مجلدات التوحيد مكتبة علمية .. تحتاج إليها

المكتبة الإسلامية

المكتبة العامة

مكتبتك الخاصة

الأسرة المسلمة

لا يستغني عنها بيت مسلم

- الموسوعة العلمية والمكتبة الإسلامية في شتى العلوم من مجلة التوحيد
- أكثر من ٨٠٠٠ بحث في كل العلوم الشرعية داخل مجلدات التوحيد
- كتابات وأبحاث وإنتاج فكري لمشايخ وعلماء ودعاة من مصر والعالم الإسلامي

للاستفسار.. يرجى الاتصال
بقسم الاشتراكات بمجلة التوحيد

☎ 23936517

تمور الطحان ®
أصالة الزمان
جئنا لنتفوق ..
وعليك أن تتذوق
حاصلة على شهادة
ISO 22000
Safety Seal
تمور الطحان
أصالة الزمان
عسل التمر
DATES HONEY
طبيعي ١٠٠ ٪
بكل فخر صنع في
مصر
علامة الجودة
www.altahhandates.com

خدمة العملاء
01284447778
01128911113

(+2) 01067717725
Altahhan.goldendates

محافظة الوادي الجديد

قلعة صناعة التمور فى مصر